

**إسماعيل فهمي:
لا تنشروا خطاب السادات!**

أعادني كتاب وزير الخارجية الأسبق إسماعيل فهمي (التفاوض من أجل السلام في الشرق الأوسط) والذي صدرت طبعته الجديدة هذا الأسبوع عن دار الشروق، إلى ذكريات مضى عليها حوالي ٣٠ عاما حين شاهدت بنفسى عملية الشد والجذب بينه وبين الرئيس السادات الذي كان قد أعد العدة خفية للقيام برحلته إلى إسرائيل ومحاولات وزير الخارجية تدارك الموقف وإثناؤه عن الزيارة مؤكدا له أننا سنحصل على شروط أفضل في مؤتمر السلام الذي كان يجري في جنيف.



إسماعيل فهمي



الرئيس السادات

كنا في صالة التحرير بجريدة (الأهرام) مساء أحد أيام شتاء ١٩٧٧م حين دق جرس التليفون وكان المتحدث هو نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية إسماعيل فهمي والذي كانت تربطني به علاقة عائلية وثيقة، وبعد التحية والسلام سألتني النائب إن كنت أنا المسئول عن التحرير في تلك الليلة فقلت إنني المسئول عن (الديسك) الخارجى أما (الديسك) المركزى فكان الجالس عليه هو المرحوم محمد عبد العزيز مدير التحرير فيما بعد، وقلت للسيد إسماعيل فهمي: لكنى لا أراه ألامى الآن فربما نزل إلى المطبعة حيث

إن وقت الطبع قد أزف، فقال لى إسماعيل فهمى: حاول أن تلحق بسرعة لأن هناك تعديلا مهما فى الخطاب الذى ألقاه الرئيس السادات اليوم فى مجلس الشعب، قلت إن الموضوع (مانشيت) الجريدة غدا، وقرأت عليه العناوين الرئيسية التى كانت تتحدث عن استعداد السادات للذهاب إلى الكنيست فى إسرائيل، فصاح إسماعيل فهمى: لا، لا، لا، يجب أن توقفوا الطبع فورا!

ووعدت وزير الخارجية بأننى سأتصرف على وجه السرعة، وما أن انتهت المكالمة حتى سعد محمود عبد العزيز من المطبعة وهو يتهدى بطريقته الهادئة التى كنا جميعا نحسده عليها، فهناك من الصحفيين من يثيرون الاضطراب فى صالة التحرير كلما كانت هنالك أزمة أو كارثة فيزيدون الأمور توترا، أما محمود عبد العزيز فكان يتعامل مع جميع الأخبار بالهدوء نفسه فلا يحدث لمن حوله أى ارتباك.

نظر إلى محمود عبد العزيز وقال: كلها دقيقتين وتدور المطبعة، قلت له: يبدو أننا سنؤخر الطبع قليلا، ونقلت إليه مضمون ما قاله لى إسماعيل فهمى، فنظر إلى متشككا فيما أقول، وكان عنده حق فهذا خطاب لرئيس الجمهورية ألقاه أمام نواب الشعب وأعلن فيه أنباء خطيرة تتعلق باستعداده للسفر إلى إسرائيل وفى حضور الزعيم الفلسطينى ياسر عرفات الذى تم إبراز صورته فى الجريدة وهو جالس فى الصفوف الأولى بمجلس الشعب، وقبل دوران المطبعة بدقائق يأتى محرر الشؤون الخارجية ليخبر مسئول التحرير فى تلك الليلة أن وزير الخارجية يطلب تعديلا على الخطاب يخص فيما يبدو الفقرة الخاصة بالسفر إلى إسرائيل، وكان على مسئول التحرير أن يكون ساذجا يصدق كل ما يقال له كى يستجيب لما نقلته له، فما علاقة محرر الشؤون الخارجية بخطاب الرئيس فى مجلس الشعب وما مدى مسئوليته حيال ما ينشر عنه، ثم ما علاقة وزير الخارجية بما ينشر من (مانشيتات) فى الصحف حول خطاب الرئيس؟ أين رئاسة الجمهورية ولماذا لم تتدخل؟ وأين وزير الإعلام الذى عادة ما ينقل هذه التوجيهات بنفسه لرئيس التحرير أو من ينوب عنه؟

وعلى الفور اتصل محمود عبد العزيز بما كان يعرف بمكتب الصحافة فى وزارة الإعلام يسأل إن كانت هناك توجيهات جديدة خاصة بخطاب الرئيس فى مجلس الشعب، وكان هذا المكتب يمثل جهاز الرقابة الخفية على الصحف، وفى بداية عام ١٩٧٤م أعلن الرئيس

السادات إلغاء الرقابة على الصحف ، وقال : إن الصحف قد أصبحت حرة من ذلك اليوم ، وهكذا تغير اسم مكتب الرقيب التابع لوزارة الإعلام ليصبح مكتب الصحافة ، لكنه يظل يمارس المهام السابقة نفسها في توجيه الصحف فيما تكتب وفيما لا تكتب ، وكنا نسمى ذلك المكتب فيما بيننا مكتب حرية الصحافة .

وبالطبع أجاب الرقيب بالنفي على سؤال محمود عبد العزيز ، وقال لى : فى غيبة توجيه رسمى بتغيير كلام خطاب الرئيس لا أستطيع أن أوقف المطبعة ! فاقترحت عليه أن يتصل بالنائب ويستفسر منه ، فتخرج قائلاً إن الوقت متأخر وإن ما قاله مكتب الصحافة يمنحه غطاء كافياً لعدم وقف الطباعة ، وفجأة وأثناء مناقشتى لمحمود عبد العزيز دق جرس التليفون مرة أخرى ووجدت إسماعيل فهمى يسألنى إن كنا قد أوقفنا الطبع ، فناولت التليفون على الفور لمحمود عبد العزيز الذى فهم من وزير الخارجية أن علينا حذف الجزء الخاص بزيارة إسرائيل بالكامل من خطاب الرئيس ، على أساس أنه كان تعبيراً مجازياً وأن نشره قد يفهم خطأ ، وحين قال له محمود عبد العزيز إن مكتب الصحافة لم يصله توجيه فى هذا الموضوع احتد إسماعيل فهمى قائلاً إنه لا يتعامل مع مكتب صحافة وإنه يتحدث فى هذا الموضوع بعد اتفاق مع رئيس الجمهورية نفسه .

ووضع محمود عبد العزيز سماعة التليفون وقال لى : أمرنا لله سنعيد كتابة المانشيت ، وهكذا أوقف المطبعة بعد أن كانت دارت بالفعل وطلب بروفات الموضوع الرئيسى وجلسنا أنا وهو نحذف من خطاب رئيس الجمهورية كل ما قاله فى المجلس عن استعداده لزيارة إسرائيل ، وما أن انتهينا من ذلك ونزل محمود عبد العزيز بنفسه إلى المطبعة بالبروفات المعدلة ليتم تنفيذها حتى دق جرس التليفون من جديد ، وكنت على وشك أن أطمئن إسماعيل فهمى أننا قد قمنا بعمل المطلوب وحذفنا كلام رئيس الجمهورية حين سمعت على الجانب الآخر صوتاً رخيماً لا تخطئه الأذن يقول : أنا ممدوح سالم ، وكان رئيس الوزراء يتصل بنفسه ليقول إن رئيس الجمهورية يطلب نشر خطابه فى مجلس الشعب كاملاً ودون أى حذف ، فاتصلت على الفور بمحمود عبد العزيز فى المطبعة ونقلت له ما قاله رئيس الوزراء فقال لى : وبعدين فى الليلة إالى موش فايته دى بقى؟! !

لكن تلك الليلة فاتت وظهر (الأهرام) فى اليوم التالى يحمل قول السادات إنه مستعد لأن يذهب إلى إسرائيل ، وعلمت من إسماعيل فهمى فيما بعد أنه فوجئ بما قاله السادات

فى مجلس الشعب وأنه اتصل بالرئيس بعد الانتهاء من خطابه مستفسراً عما صرح به وقائلاً له : ألم نتفق على صرف النظر عن هذا الموضوع؟ فقال له السادات : أهى طلعت منى بقى وخلص ، فقال له إسماعيل فهمى : إنه سيتولى تصليح ذلك على الفور ، وهكذا قام بالاتصال بنفسه بالصحف لحذف تلك المقولة من الخطاب ، لكن السادات الذى كان يرتب للزيارة دون إطلاع وزير الخارجية رغم اتصالها المباشر بعمله أرسل رئيس الوزراء من وراء ظهر وزير الخارجية ليبلغى تعليماته بحذف الإشارة إلى زيارة إسرائيل ، وهذه الزيارة أدت فى النهاية لاستقالة إسماعيل فهمى .

وفى كتاب إسماعيل فهمى (التفاوض من أجل السلام فى الشرق الأوسط) الذى صدرت طبعته الجديدة عن دار الشروق هذا الأسبوع يشرح وزير الخارجية أنه لم يستقل من منصبه لمجرد أنه لم يستشر فى أمر الزيارة التى تقع داخل دائرة عمله ، وإنما لما هو أهم من ذلك وهو رفضه من حيث المبدأ لتلك الزيارة التى يشرح فى الكتاب كيف أنها غيرت موازين القوة فى المنطقة ودمرت نظام الدفاع العربى ولقد توقع إسماعيل فهمى أن أى اتفاق سيتم التوصل إليه بعد الزيارة سيكون مقصوراً على تحقيق آمال الجانب العربى إذا ما قورن بمؤتمر السلام الدولى الذى كان إسماعيل فهمى يشرف بنفسه على عقده فى جنيف والذى توقف بعد زيارة القدس فى نوفمبر ١٩٧٧م والتى خرجت بمقتضاها قضية الشرق الأوسط من قاعات الأمم المتحدة إلى دهاليز البيت الأبيض ، الحليف الأول لإسرائيل .



المطربة إرثا كيت: أكل الأرز قبل الغناء!

حين قابلت المطربة الأمريكية الكبيرة إرثا كيت فى عام ١٩٧٠م كانت فى منفاها الاختيارى فى لندن بعد أن منعتها السلطات الأمريكية من دخول الولايات المتحدة بسبب ملاحظة ناقدة أبدتها حول حرب فيتنام ردا على سؤال وجه لها أثناء غداء سيدات كانت تحضره ليدى بيرد جونسون زوجة الرئيس الأمريكى آنذاك ليندون جونسون، ولقد سعدت حين أعلن بعد ذلك الرئيس الأمريكى الجديد جيمى كارتر ترحيبه بها فى بلدها واستقبلها فى البيت الأبيض.

تحتل إرثا كيت مكانا خاصا فى عالم الغناء الأمريكى فهى تقدم أغنيات تجمع ما بين الموسيقى السوداء والبيضاء، أى أنك لا تستطيع أن تضعها فى مصاف إيلا فينرجيرالد أو لوييس آرمسترونج الزنجيين واللذين تعبر أغنيتهما عن موسيقى الزنوج من الجاز، والسول والبلوز، كما لا تستطيع أن تضعها مع فرانك سيناترا أو دين مارتن على الجانب الآخر، لكنها فى جميع الأحوال تعتبر من بين أهم عشر مطربات أمريكيات ممن لمعن فى فترة الخمسينيات والستينيات الماضية.

ولقد حدثتني إرثا كيت بلا خجل عن نشأتها التعييسة فى ولاية كارولينا الجنوبية، حيث كانت والدتها السوداء تعمل فى إحدى مزارع القطن المملوكة للبيض وكانت إرثا ماى وهو اسمها الأصلى نتاجا لعلاقة بين هذه السيدة وابن صاحب المزرعة الأبيض، وهى تقول: على الأرجح أنها كانت واقعة اغتصاب لا أعرف، كل ما أعرفه أننى كنت ثمرة تلك العلاقة وأننى لم أكن محبوبة من أحد ولا كان يريدنى أحد لذلك لم أشعر بالحب أو العاطفة طوال فترة طفولتى إلى أن تخلت عنى أمى نهائيا وأنا فى سن السادسة أرسلتنى لأقيم مع قريبة لها- ربما كانت هى أمى الحقيقية لا أعرف- فى حى هارلم بنيويورك.

ولقد شعرت إرثا كيت طوال طفولتها بأنها غير مقبولة من البيض لأنها ملونة ولا من الزنوج لأنها ليست سوداء بالقدر الكافى، وربما كان هذا هو سر تميزها الموسيقى بعد ذلك، فقد سافرت كثيرا إلى أوروبا وغنت بلغات غير الإنجليزية خاصة الفرنسية التى

أدخلت بعض كلماتها إلى أغنياتها باللغة الإنجليزية مثل أغنياتها الشهيرة (There is no cure for l.amour) أى (ليس هناك دواء للحب) و c.est si bon أى (كم هو جميل) وهو ما يندر أن تجده فى ربرتوار الموسيقى الأمريكية باستثناء المطربة والراقصة الزنجدية الشهيرة جوزفين بيكر التى اشتهرت فى باريس فى الخمسينيات ، حيث كانت تقييم قبل أن تشتهر فى الولايات المتحدة، ولا تزال حتى اليوم تعتبر جزءاً من تاريخ الأغنية الفرنسية فى أواسط القرن الماضى.

على أن إرثا كيت حصلت على ما لم تحصل عليه جوزفين بيكر وهو جائزة (جرامى) التى تعتبر أعلى جائزة فى مجال الأغنية فى الولايات المتحدة التى حصلت عليها ثلاث مرات ، وقد قيل عنها فى حيثيات منحها إحدى الجوائز أنها ليست مجرد مطربة ، وإنما هى (ممثلة) على المسرح وسيلة تعبيرها هى (الأغنية).

ولقد حققت إرثا كيت نجاحا كبيرا حين قام المخرج الأمريكى العبقري أرسون ويلز فى عام ١٩٥١م بإخراج مسرحية مارلو الشهيرة (الدكتور فاوست) فى باريس وأسند فيها دور هيلانة جميلة طروادة إلى إرثا كيت قائلا مقولته الشهيرة بأنها (أكثر النساء إثارة فى العالم).

وأسأل إرثا كيت عن علاقتها بأورسون ويلز فتقول: لم يكن بيننا غير الصداقة والتقدير المتبادل رغم كل ما كان يقال غير ذلك ، أما عن موضوع الإثارة هذه فتلك مسألة نسبية فأنا لست جميلة كما ترى ، لكنى قد أكون مثيرة للبعض وليس للبعض الآخر.

وتبدو لى إرثا كيت المولودة عام ١٩٢٧م (على حد قولها) فى صحة جيدة ومحتفظة بشبابها بدرجة لافتة ، وقد شرحت لى أنها تحافظ على صحتها فتتبع نظاما غذائيا خاصا ، وتقوم بتدريباتها الرياضية بانتظام وتشرح لى أنها حين يكون لديها حفل موسيقى فهى لا تأكل قبله إلا قليلا من الأرز ، (فالأرز يملأ المعدة ويعطى شعورا بالراحة ، لكنه لا يثقل على) ، ثم تقول: أعرف أن بعض المطربين يتناولون المهدئات وأشياء أخرى قبل صعودهم على المسرح ، أما أنا فأتناول الأرز لأنى لا أتعامل مع الأدوية على الإطلاق.. وتصمت قليلا لتعود فتقول: (أسمع أن لديكم فى مصر أحد أفضل أنواع الأرز).

فأقول لها: هو ليس فى حجم الأرز الأمريكى المعروف باسم (انكل بنز) وحبته ليست فى طول حبة أرز (بسمتى) لكنه يتمتع بطعم أفضل منهما ، فصاحت إرثا كيت: يجب

أن أتى إلى مصر.. قلت: ألم تزوريها قط؟.. قالت: مررت بها في طريقى إلى أماكن أخرى، لكن على أن أزورها لأمكث فيها بعض الوقت ولأجرب هذا الأرز الذى نتحدث عنه.
وأسأل إرثا كيت عن منفاها الاختيارى فى لندن فتقول: إننى أعشق بلادى رغم طفولتى التعسة فيها، وإذا كان لى موقف من حرب فيتنام، فذلك لأنى لا أحب لبلدى أن تنخرط فى مثل هذه الأعمال العسكرية العدوانية، لقد كنا نفخر بأننا ليس لدينا تاريخ استعمارى لكنى أخشى أن ذلك قد تغير، وقد كان المجتمع الأمريكى كله ضد حرب فيتنام ولم أكن وحدى فى ذلك، لكنى كنت وحدى التى وضعت فى القائمة السوداء لأنى حين سئلت عن رأىى فى الحرب قلت بصراحة أمام زوجة الرئيس الأمريكى الذى صعد من تلك الحرب حين دخل البيت الأبيض وهو لندون جونسون، وهكذا بدأ الهجوم الرسمى على، لكن تعلمت خلال حياتى أن تلك الفضلات التى تسقط على الأرض تحولها الأرض إلى سماد يقويها..

ثم تنظر إرثا كيت أمامها فى الفراغ وهى تقول: (لقد أمضيت حتى الآن أربع سنوات خارج الولايات المتحدة، حيث عشت فى البداية فى باريس ثم الآن فى لندن، لكنى سأعود قريباً إلى بلدى، أنا واثقة من ذلك).

لكن إرثا كيت كان عليها أن تنتظر أربع سنوات أخرى قبل أن تعفو عنها الإدارة الأمريكية ويكرمها الرئيس الأمريكى جيمى كارتر بدعوتها إلى البيت الأبيض عام ١٩٧٤م.



ألفريد ليلينثال: لماذا تصدقون الدعاية الصهيونية؟!

أمضى الكاتب السياسى اليهودى ألفريد ليلينثال حياته يحاول تصحيح المفاهيم الخاطئة التى كانت تروجها آلة الإعلام الصهيونى فى الولايات المتحدة والتى كان فى مقدمتها أن العرب يريدون إلقاء إسرائيل فى البحر، وقد حصل ليلينثال على حكم قضائى بعدم صحتها بعد أن ثبت أمام المحكمة أنها لم تصدر عن أى زعيم عربى.. لكنه شعر فى نهاية حياته أنه قد خسر المعركة حين وجدنا نحن العرب نعود لتصديق أن هذه المقولة قد صدرت عنا.

كان ألفريد ليلينثال كاتباً يهودياً أمريكياً من المعادين للصهيونية وقد أمضى حياته يكتب عن التجاوزات التى ترتكبها إسرائيل بداية من استيلائها فى عام ١٩٤٨م على أرض عربية لم ينص عليها قرار التقسيم الذى قامت بموجبه إلى تحرشاتها بالعرب بعد ذلك من أجل الاستيلاء على مزيد من الأراضى بطرق غير قانونية، أما الإرهاب الذى مارسه إسرائيل على السكان الفلسطينيين فى المدن والقرى التى أرادت إسرائيل إخلاءها من السكان من أجل توطين اليهود القادمين إليها من الخارج فكان - حسب رأى ليلينثال - غير مسبوق فى العالم وكان فى مقدمة القرى التى شهدت مثل هذا الإرهاب دير ياسين التى عاشت مذبحه رهيبه مورست خلالها أعمال وحشية يشيب لها الولدان حتى تم إفراغها من سكانها الأصليين ومحيت من على الخريطة ليقام بدلا منها مدينة إسرائيلية هى كريات شمونة التى تردد اسمها كثيرا خلال حرب لبنان الأخيرة حين أطلق حزب الله الصواريخ عليها، وقد نجحت إسرائيل فى محو دير ياسين ليس فقط من الخريطة ولكن أيضا من الذاكرة فأخذنا نحن العرب نطلق عليها اسم كريات شمونة. فتحدثت وسائل إعلامنا أثناء الحرب عن أن الصواريخ طالت كريات شمونة بينما هى فى الحقيقة دير ياسين التى لم نعد نذكرها الآن إلا فى أحاديثنا عن المذبحة التى وقعت عام ١٩٤٨م.

لقد تحدث ألفريد ليلينثال عن كل ذلك فى الخمسينيات والستينيات حين لم يكن أحد فى الولايات المتحدة يعرف أى من هذه المعلومات. فكان يلقى هجوما شديدا من جميع

وسائل الإعلام التي يسيطر عليها النفوذ اليهودى والتي كانت ترى فيما ينشره ليلينتال من معلومات فضحا لأسلوبها فى إخفاء الحقائق عن الشعب الأمريكى لكنه لم يكن يخشى هذا الهجوم وظل يهاجم ما كان يطلق عليه *disinformation* أى الإعلام الخاطىء.

وقد أصدر ليلينتال مجموعة من الكتب فى هذا الصدد كان أشهرها كتابا صغيرا ذا غلاف أسود يحمل عنوان *what price Israel* أى (أى ثمن يا إسرائيل؟) تحدث فيها عن الثمن الإنسانى الفادح الذى على اليهود فى العالم أن يدفعوه من احترام العالم لهم وعطفه عليهم، فقد كان ليلينتال يعتقد أن العالم - إن آجلا أو عاجلا - سينقلب على إسرائيل بسبب ممارساتها الوحشية وغير القانونية وأن ذلك سينعكس بالضرورة على أمن اليهود فى العالم أجمع، أى أن ثمن إقامة دولة إسرائيل سيكون عودة العالم لاضطهاد اليهود مرة أخرى، وهذا يعنى عدم صحة النظرية القائلة بأن إقامة إسرائيل سيكون من شأنها حماية اليهود من أى اضطهاد بعد ذلك.

ولقد روى لى ليلينتال أنه درس طرق اللإعلام أو الإعلام الخاطىء الذى تتبعه أجهزة الإعلام الموالية لإسرائيل فوجد أنها بدلا من إعلام الجمهور بأن تنقل إليه المعلومات المعبرة عن الحقيقة فإنها تختلق معلومة خاطئة وتعتمد عليها فى بث وجهة نظرها التى هى عكس الحقيقة وقد اتخذ ليلينتال مثلا شهيرا كان يردده دائما فى كتاباته وفى أحاديثه الخاصة وهو مقولة إلقاء إسرائيل فى البحر التى قيل إن الرئيس المصرى جمال عبد الناصر هو الذى نادى بها فصارت هى سياسة العرب جميعا تجاه إسرائيل.

ولم تكن الدوائر الصهيونية لتسكت على ما يقوم به ليلينتال من فضح لوسائلها فى خداع الشعب الأمريكى فكانت تهاجمه بضراوة، وحين قام بزيارة إلى القاهرة والتقى خلالها بالرئيس جمال عبد الناصر قامت ضده حملة ضاربة واتهمته الدوائر الصهيونية بأنه يساند من يعدون لـ (هولوكوست) جديد ضد اليهود وأنه التقى بهتلر العرب الذى يريد إلقاء اليهود فى البحر. ولقد لجأ ليلينتال إلى القضاء متحديا من اتهموه زورا وبهتانا بأن يأتوا بخطاب واحد للرئيس عبد الناصر أو تصريح له قال فيه إن على العرب إلقاء إسرائيل فى البحر وبعد أشهر من المداولات فى المحاكم كسب ليلينتال قضيته بعد أن عجز أعداؤه عن إثبات صحة هذه المقولة التى قام عليها الإعلام الصهيونى منذ قيام دولة إسرائيل واستطاع أن ينشرها فى الإعلام الغربى كله باعتبارها إحدى الحقائق الغائبة.

لكن لأن مقولة إلقاء إسرائيل في البحر كانت هي حجر الزاوية في الإعلام الصهيوني تمسكت بها أجهزة الإعلام الأمريكية حتى بعد أن ثبت عدم صحتها.. وظلت هذه الأجهزة ترددها بالرغم من ذلك وكان ليليننتال في كل مرة يقول إن تلك مقولة غير صحيحة وإن إسرائيل هي التي ألقت بعرب فلسطين في البحر وإن هناك حكما قضائيا صادراً من المحاكم الأمريكية يؤكد عدم صحة هذه المقولة الخادعة.

ولقد التقيت بليليننتال مرات عديدة في القاهرة وفي نيويورك حيث كان يقيم ثم انقطعت أخباره خلال النصف الثاني من السبعينيات وتوقفت النشرة الشهيرة التي كان يصدرها للرد على مزاعم الإعلام الصهيوني إلى أن قابلته مصادفة في أحد شوارع نيويورك وقت التفاوض حول اتفاقية كامب ديفيد فقال لي: اليوم خسرت قضيتي فقد سلم العرب لإسرائيل بصحة مواقفها وكأنهم هم المخطئون، إنه الاستسلام التاريخي الذي سيغير تاريخ المنطقة لتصبح إسرائيل هي القوة الكبرى في الشرق الأوسط وتصبح أكاذيبها حقائق.

وكان أكثر ما يؤلم اليهودي ألفريد ليليننتال أن الجانب العربي قد استخدم في تبريره لمواقفه الجديدة المعلومات الخاطئة نفسها التي قام عليها الإعلام الصهيوني وفي مقدمتها مقولة إلقاء إسرائيل في البحر والتي انطلقت أبواب إعلامية عربية في ذلك الوقت تقول إنها كانت سياسة ثبت فشلها وأن الدولة التي أرادت إلقاء إسرائيل في البحر قد انهزمت عسكريا وعليها الآن الاعتراف بخطئها وقبول إسرائيل.

واليوم مازال البعض منا إذا أراد تبرير سياسة السلام مع إسرائيل يقول إننا لم نتمكن من إلقائها في البحر فكان علينا أن نتفق معها، بل إن بعض من يهاجمون سياسة الستينيات يقولون إنها كانت ترفع شعارات هي غير قادرة على تحقيقها وفي مقدمتها بالطبع يأتي شعار إلقاء إسرائيل في البحر الذي ثبت بحكم محكمة أمريكية أننا لم نقله، لكن إسرائيل أفنعت العالم بصحته بمن في ذلك نحن، وهو ما لم يفهمه ألفريد ليليننتال.



جيهان السادات: ستعود ثانية إلى الكتابة!

المرّة الأولى التي قابلت فيها السيدة جيهان السادات كانت في السبعينيات في بيت توفيق الحكيم حين جاءت لتقدم واجب العزاء للكاتب الكبير في وفاة ابنه الشاب إسماعيل والذي كان متزوجاً من شقيقتي الصغرى، يومها اتصلت الرئاسة بمنزل الحكيم وطلبت ألا يكون في المنزل وقت زيارة قرينة رئيس الجمهورية إلا أفراد العائلة فقط، ولم يعرف الكاتب الكبير ماذا يفعل بالمعزيين الذين كانوا يتوافدون على بيته طوال اليوم.

حين وصلت في ذلك اليوم إلى منزل توفيق الحكيم بعمارة سيف الدين على كورنيش النيل بجاردن سيتي لم أكن أعرف أن قرينة الرئيس ستحضر لتقديم العزاء، كان بالعمارة مصعدان وجدت أحدهما بابه مفتوحاً فهمت بدخوله، لكن رجلين يرتديان الملابس المدنية طلبا مني أن استخدم المصعد الآخر، فلم أفهم السبب إلا بعد أن صعدت إلى الشقة وعرفت أن قرينة الرئيس ستصل خلال دقائق.

كان المناخ العام في المنزل متوتراً بعض الشيء، وقال لي الحكيم: إنه محرّج من المعزيين ولا يعرف كيف يطلب منهم الرحيل، وتوصلنا أنا وزوج ابنته إلى حل توفيقى وهو أن نطلب من المعزيين الدخول إلى الغرفة الداخلية للمنزل ونترك غرف الاستقبال خالية إلا من أفراد الأسرة حسب تعليمات أمن الرئاسة.

وسط هذا الجو المشحون الذى استنفر الحاضرين وصلت قرينة الرئيس، لكنها ما أن جلست وسط أفراد الأسرة وبدأت تتحدث حتى تبدل الجو وبددت ابتسامتها الصادقة الهادئة الغيوم التي أطلقتها تعليمات الأمن الصارمة وسحر حديثها الحضور جميعاً.

وقد حرصت جيهان السادات على الحديث مع جميع أفراد الأسرة فرداً فرداً وكأنها كانت تعرفهم منذ زمن.. بل تعرف كل شيء عنهم، فقد فوجئت أنها حين سألتني عن أحوالى قالت لى: إن شاء الله نرجع نقرأ كتاباتك تانى فى (الأهرام)، فقد كنت فى ذلك الوقت ممنوعاً من الكتابة ضمن عدد كبير من الصحفيين كان يرى نظام السادات أنهم معادون لسياساته.

ومكثت جيهان وقتاً طويلاً تتحدث إلى توفيق الحكيم قائلة له : أنت قيمة كبيرة فى حياتنا يا توفيق بك ، وقد تعلمنا منك الكثير فلا تدع الحزن يهزمك أو ينال منك ! كما تحدثت إلى شقيقتي هداية قائلة لها : كل شىء يولد صغيراً ويكبر إلا الحزن ، فهو يولد كبيراً وسرعان ما نتعلم كيف نتعامل معه ونكمل حياتنا ، وأنت فى العشرينيات من عمرك والحياة كلها مازالت أمامك .

وخلال الـ ٤٥ دقيقة التى استغرقتها زيارة السيدة جيهان لمنزل توفيق الحكيم كان الجو العام قد تحول ١٨٠ درجة ، وبعد أن خرجت كان زوج ابنة الحكيم هو الذى عبر عن شعور باقى أفراد الأسرة حين قال تلقائياً : إنها سيدة عظيمة ، وإنه لفخر أن تكون هذه هى سيدة مصر الأولى !

وقد تكررت بعد ذلك لقاءتى بالسيدة جيهان السادات فى مناسبات اجتماعية متعددة كانت كلها بعد رحيل الرئيس السادات ، وفى عام ١٩٩٦م كانت تعرض لى مسرحية (الجنزير) وفى لقاء معها تحدثت إحدى صديقاتها عن المسرحية والنجاح الذى حققته فدعوت السيدة جيهان لحضورها مع صديقاتها الحاضرات .

كانت قد مرت حوالى ٢٠ سنة ما بين اللقاء الأول وهذا اللقاء تغيرت خلالها أشياء كثيرة حيث اغتيل رئيس الجمهورية وانتقلت قرينته إلى صفوف المواطنين العاديين فلم يعد يسبقها أفراد الأمن بما يشيعونه من توتر إلى الأماكن التى تعتمزم زيارتها ، لكن الشىء الذى لم يتغير هو شخصية السيدة جيهان الخلابه وتأديتها للواجب ، وقد روت لى ابنتها نانا حرم المهندس محمود عثمان ذات يوم أنها بعد مقتل الرئيس السادات مباشرة سمعت أن سكرتيره الخاص السيد فوزى عبد الحافظ فى حالة حرجة بسبب إصابته فى الحادث ، وأن حالته النفسية والمعنوية قد ساءت بعد أن علم بمقتل الرئيس ، وهنا طلبت السيدة جيهان من بناتها أن يخلعن السواد على الفور ويذهبن معها إلى المستشفى لزيارة فوزى عبد الحافظ ، وفى غرفته بالمستشفى جلست قرينة الرئيس وبناتها بملابسهن العادية وأخذت السيدة جيهان التى لم تكن قد أفقت بعد من فجيعة رحيل الرئيس ، تؤكد لسكرتيره الخاص الذى خدمه طوال فترة رئاسته أنه لا داعى للقلق وأن الرئيس بخير وأنه فى منزله بالقناطر ، وذهبت إلى حد القول : عايزنى اطلبهولك فى التليفون علشان تصدق؟! !

وبعد أن قامت قرينة الرئيس بواجبها ورفعت قليلا من الروح المعنوية لسكرتير الرئيس عادت هي وبناتها إلى منزلهن فارتدين ملابس الحداد مرة أخرى ليستقبلن المعزين.

كانت المشكلة التي تقلقني حين وصلت السيدة جيهان مع صديقاتها إلى مسرح السلام بشارع قصر العيني هو المشهد الختامي للمسرحية التي يقتحم فيه أفراد إحدى الجماعات الإسلامية المتطرفة خشبة المسرح ويطلقون النار على أحد أبطال المسرحية، ثم تدخل في أعقابهم قوات الشرطة فتحول المسرح إلى ساحة قتال تطلق فيها الأعيرة النارية في كل اتجاه، وعندئذ تخرج الفنانة الراحلة ماجدة الخطيب التي كانت تؤدي دور الأم إلى مقدمة المسرح صائحة كالحيوان الجريح (بلدى)! وينزل الستار.

وقد كنت أخشى على السيدة جيهان التي كانت تجلس في الصف الأول من التأثر من ذلك المشهد الدامي الذي قد يعيد إليها ذكرى مشهد اغتيال الرئيس ووجدت أنه من الأفضل ألا تفاجأ به على حين غرة، لذلك قلت لها بشكل عابر أثناء حديثي معها في الاستراحة بعد الفصلين أن المشهد الختامي فيه ضرب نار قوى بين أفراد الجماعة الإرهابية والبوليس، وفهمت السيدة جيهان مقصدي على الفور، لكنها أرادت أن تؤكد لي صلابتها فردت عليّ قائلة: حسنا فعلت أن قلت لي ذلك حتى أخبر السيدات اللاتي مع كي لا يفزعن.

وبعد انتهاء العرض هرعت إليها، لكنها كانت رابطة الجأش فأبدت إعجابها بالمسرحية وطلبت مقابلة أبطال العرض لتهنئتهم.



بيل كلنتون: صورتنا معا مزورة!

قابلت الرئيس الأمريكي بيل كلنتون لأول مرة في القاهرة بعد خروجه من البيت الأبيض، فقدمت له صورة فوتوغرافية تجمع بيننا وقلت له: هل تذكر هذه الصورة؟ فأخذ كلنتون الصورة التي ظهر فيها وهو يضع يده في يدي مصافحا، وظل يتفحصها مليا ثم سألتني: أين كان ذلك؟ فلم أرد، فنظر إليها ثانية ثم صاح فجأة: إنها مزورة! كان كلنتون يرتدي بدلة رمادية وربطة عنق في لون الفيروز، وقد حضر إلى القاهرة لإلقاء الكلمة الرئيسية في إحدى الحفلات التي أقيمت لصالح جمعية جيل المستقبل، كان الحفل يضم حوالي ألف مدعو، لكن منظموه أرادوا للضيف الأمريكي الكبير أن يلتقي ببعض الحضور فقدموني له حيث تبادلنا بعض كلمات التعارف للحظات إلى أن جاء دور غيري ليتعرف إليه. ولقد استغرقت كلمة كلنتون في الحفل حوالي ٤٠ دقيقة تحدث خلالها عن الشرق الأوسط وخبرته الطويلة به، ودعا إلى ضرورة قيام دولة فلسطينية وطالب بالنظر للإسلام نظرة سليمة، وقال: إنه كان أول رئيس أمريكي يرسى تقليد الاحتفال بعيد الفطر المبارك في البيت الأبيض أسوة بأعياد الأديان الأخرى التي يدين بها الشعب الأمريكي. وطرح كلنتون فكرة عظيمة حيث طالب الولايات المتحدة بمساعدة الدول الأخرى الفقيرة في العالم الثالث قائلا: إنه لا يمكننا أن نتحدث عن العولة وعن المسؤولية الدولية للولايات المتحدة دون أن نترجم هذه المسؤولية إلى خطوات فعلية لأنه إذا كانت للولايات المتحدة مسؤولية في الداخل لتحقيق رخاء رعاياها، فإنه لا يمكن التغاضي عن هذه المسؤولية في الخارج. وقال (إننا لا يمكن أن نتجاهل آلام الشعوب الأخرى لمجرد أنهم يعيشون خارج حدود بلادنا، فالحدود قد سقطت في عالمنا الذي نعيشه الآن).

وقد لا يعرف البعض أن حياة كلنتون في الوقت الحالي تعتمد إلى حد كبير على مثل هذه المحاضرات التي يلقيها كلما دعي إلى ذلك في أي من مدن العالم نظير أجر محدد، وقد ألقى كلنتون محاضرة مماثلة قبل حضوره إلى القاهرة كانت في لندن وقد أذاعتها قناة (بي بي سي) البريطانية، في حينها.

وقد يبدو ذلك غريبا على البعض عندنا، لكنه تقليد راسخ معمول به في الكثير من الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة حيث يتم استثمار اسم المشاهير ليس فقط في

إلقاء المحاضرات، إنما أيضا في افتتاح بعض الأنشطة أو حتى بمجرد التواجد في بعض المناسبات، وهناك وكالات متخصصة في هذا الموضوع، فإذا أقام أحد حفل عشاء لمناسبة أو أخرى وأراد أن يكون بين مدعويه أحد نجوم السينما مثلا أو الغناء اتصل بإحدى هذه الوكالات فيقولون له إن دعوة توم كروز مثلا ستكلفك كذا ودعوة مادونا ستكلفك كيت.

أما المسئولون الكبار مثل الرؤساء أو الوزراء السابقين فعادة ما يقوم مدير أعمالهم بهذه المهمة لأن الرئيس السابق مثله مثل ممثل هوليوود له معجبهوه الذين سيتوافدون لمقابلته ولسماع ما سيقوله، فإذا كان الهدف من المناسبة هو جمع المال لغرض خيري مثلا. فإن وجود مثل هذا النجم يضمن حضور أكبر عدد من الناس، وهو ما حدث بالفعل مع كلنتون في القاهرة حيث تبرع اثنان من رجال الأعمال بأجر كلنتون ونفقات سفره وإقامته، وكان من نتائج حضوره أن بيعت جميع تذاكر الحفل ودخل إيرادها كاملا إلى الجمعية التي أقامت الحفل. وقد حضر البعض إلى الحفل متشوقا لسماع ما سيقوله الرئيس الأمريكي السابق في محاضراته، والأفكار التي قد تكون لديه الآن وقد خرج من البيت الأبيض، أما البعض الآخر فقد جاء ليتفرج على الرئيس ذى الشعر الفضى الكثيف والذى يعتبر أكثر الرؤساء الأمريكيين وسامة وقد تم تخصيص صالون ملاصق لصالة الاحتفالات التي أقيم بها الحفل بأحد الفنادق الفاخرة ليلتقى كلنتون ببعض كبار رجال الأعمال المتبرعين للحفل وبعض مسئولى جمعية جيل المستقبل والتقطت لهم الصور التذكارية مع الضيف الأمريكي الكبير، ثم خرج كلنتون من الصالون إلى صالة العشاء فقام منظمو الحفل بتقديم بعض الضيوف إليه فتبادل معهم بعض كلمات التعارف، أما الفئة الثالثة من المهتمين بالرئيس الأمريكي السابق فكانت تلك التي تحلقت حوله بعد العشاء وقبل أن يلقي كلمته وحاولت تقديم نفسها له بنفسها إذا لم يقف الزحام حائلا دون وصولها إليه، وقد حصل البعض منهم على توقيعه على برنامج الحفل.

وكان منظمو الحفل قد أخبروني أنهم يودون تقديمي للرئيس الأمريكي وسألوني: هل قابلته من قبل؟ فقلت: لا ولا مرة، وقبل أن أذهب إلى الحفل حملت معى صورة طريفة مركبة مع صورة للرئيس كلنتون وهو يصفحنى، ففي بعض الكبائن المخصصة لهذا الغرض في مدينة نيويورك يمكنك أن تختار أن تظهر فى صورة مع مارلين مونرو أو مع رئيس الجمهورية أو غيرهما، وفى صورة كلنتون يظهر الرئيس وهو يصفح أحد الأشخاص وما عليك إلا أن تضع وجهك فى المكان المخصص لذلك فيبدو الرئيس وكأنه يصفحك أنت.

وقد كنت فى ميدان (تايمز) بقلب نيويورك مع بعض الأصدقاء، وكان أحدنا يحتاج إلى صورة شخصية يستخرج بها إحدى البطاقات ومررنا على إحدى الكبائن وطلبنا منه

تصوير صديقنا فقال: مع من؟ إليزابيث تايلور أم محمد علي كلاي أم مايكل جاكسون.. قلنا: نريد صورة له وحده، فقال الرجل: لا بأس لكنك ستظهر في شكل طرزان! وهكذا تم تصوير صديقنا بالفعل على هيئة طرزان ثم قام الرجل بقص وجهه من الصورة ليستخرج به البطاقة المطلوبة، وقمنا نحن بالتقاط صورنا كل مع الشخصية التي يريدها، فكان رئيس الجمهورية من نصيبي أنا.

وبعد أن عدت إلى القاهرة نسيت قصة هذه الصورة إلى أن سُئلت إن كنت قد التقيت بكلنتون من قبل فتذكرت صورتى معه وأخذتها معى لأطلعها عليها، وقد دهشت حين علمت من كلنتون أن تلك هى المرة الأولى التى يشاهد فيها واحدة من هذه الصور التى كان يعلم بأمرها لكن لم يتصادف أن رأى أيا منها.

وأخذ كلنتون يدقق النظر فى الصورة وهو يبتسم فوعدهت بأننى سأطبع منها نسخة وأرسلها له على الفندق قبل سفره، وحين عدت إلى طاولتى قال أحد الجالسين متفاجرا إنه كان فى الصورة الجماعية التى التقطت لكلنتون مع مجموعة رجال الأعمال، فقلت له: كم كان عددكم؟ قال: حوالى عشرة أشخاص، قلت له وقد أخرجت الصورة من جيبي: أما أنا فإن صورتى لا يظهر فيها إلا أنا وكلنتون فقط، فأخذ ينظر إلى الصورة فى غيظ واضح ثم أعادها إلى دون تعليق وحين رويت قصة الصورة ضحك جميع الجالسين على الطاولة إلا هو.



كلينتون ومحمد سماوى

أميرة لشتنشتاين: أُعب البريدج لأقتل الوقت!

وسط بريق الماس على صدور النساء ومضات حبات الكريستال التي تتدلى من الثريات الضخمة في سقف كازينو «دوفيل» الشهير بفرنسا تجرى سنويا المباراة الدولية للعبة «البريدج»، ومدينة دوفيل الواقعة على شاطئ الأطلنطي هي مصيف أصحاب الملايين ومشاهير النجوم وأصحاب الأسماء اللامعة في المجتمع، وقد عرفها المصريون في الأربعينيات من القرن الماضي، حيث كان يؤمها كل صيف الملك السابق فاروق.

لقد وصلت إلى «دوفيل» في زيارة لم أكن أتوقعها، فقد كنت في باريس لمقابلة صحفية مع رئيس الوزراء الشاب الذي كان قد تولى منصبه منذ أسابيع قليلة فقط وكان اسمه جاك شيراك، كان ذلك في خريف عام ١٩٧٥م وكانت هناك انتخابات بلدية في ذلك الوقت شغلت شيراك الذي كان يتزعم كتلة الشباب في الحزب الديجولي، لذلك تأجل موعدنا بضعة أيام ووجدت مكتب رئيس الوزراء يتصل بي في فندقى بباريس ليخبرني بأن الموعد الجديد مع رئيس الوزراء سيكون في الأسبوع التالي وبأننى في تلك الأثناء سأنزل ضيفا على عمدة مدينة «دوفيل» الساحلية لحضور احتفالاتها بمباريات البريدج السنوية. كانت مفاجأة سارة بالنسبة لى. ولما لم أكن قد زرت «دوفيل» من قبل فقد رحبت بالدعوة قائلاً لمحدثتى العاملة بمكتب رئيس الوزراء إننى أتفهم تماما أهمية الانتخابات بالنسبة للحزب ورجوتها أن تؤكد لرئيس الوزراء أن تلك الانتخابات لها كل ما يريد من اهتمام مهما طاللت المدة.

وحين وصلت إلى «دوفيل» كنت من القلائل الذين وصلوا على متن طائرة تجارية، حيث وجدت مطار المدينة يمتلى بالطائرات الخاصة التي يأتى أصحابها إلى «دوفيل» من جميع أنحاء أوروبا سواء لقضاء الصيف أو ربما لقضاء ليلة واحدة فقط بالكازينو الشهير يعودون بعدها من حيث أتوا.

ومن بين كبار المترددين على «دوفيل» الأميرة جورجينا فيلذك أميرة لشتنشتاين التي تجرى مباريات البريدج كل عام تحت رعايتها، ولشتنشتاين هي إمارة مستقلة تقع بين

النمسا وسويسرا ولا يزيد طولها على ٢٤ كيلو مترا من الشمال إلى الجنوب وعرضها على ٩ كيلو مترات من الشرق إلى الغرب، وتعتبر هي وإمارة «موناكو» توأم صغيرتين وسط بقية دول القارة الأوروبية.

وعلى مائدة عمدة المدينة فى قاعة «السفراء» بكازينو «دوفيل» التقيت بأميرة لشتنشتاين فوجدتها سيدة ظريفة غير متكلفة تكسو وجهها ابتسامة هادئة تشير إلى أن حياتها تخلو تماما من المشاكل.

كان مضيفى عمدة «دوفيل» هو ميشيل دورنانو ذو الأصول الأرستقراطية والذى كان يشغل منصب وزير الصناعة والبحث العلمى فى الوزارة السابقة فى عهد الرئيس فاليرى جيسكار ديستان. وقد أجلسنى على طاولته بين أميرة لشتنشتاين على يمينى ولوسيان باربير على يسارى والذى يملك حوالى ٨٠٪ من مدينة «دوفيل» بما فى ذلك الكازينو الذى نجلس فيه وفنادق المدينة كلها، وكنت قد سمعت من أهل «دوفيل» أن باربير أقرض الحكومة الفرنسية مبلغا كبيرا من المال منذ سنوات، وأنها لم ترده حتى ذلك الوقت.

أما حول طاولتنا فقد تناثرت طاولات أخرى امتلأت بالكثير من الوجوه المألوفة من المشاهير ونجوم المجتمع، أما مباريات البريدج نفسها فكانت ستجرى فى اليوم التالى فى قاعة أخرى من الكازينو غير قاعة «السفراء» المخصصة للاحتفالات الكبرى، وقد أشار باربير إلى إحدى هذه الطاولات قائلا لى: هنا كان يجلس الملك فاروق حين كان يأتى إلى الكازينو.

وسألتنى الأميرة بعد أن عرفنى بها العمدة: هل تلعب «البريدج» قلت على استحياء: ليس كثيرا، لكن الحقيقة التى لم أشأ أن أقولها للأميرة فى أول لقاء لى معها، هى أننى لا ألعب البريدج على الإطلاق، وأننى أجد فيها مضيعة كبيرة للوقت، فهى تتطلب مجهودا ذهنيا كبير وتركيزا عاليا لا يتناسب فى رأى مع أهميتها المنعدمة بالنسبة لى، وأننى أفضل أن أمضى ذلك الوقت فى القراءة أو الكتابة.

لم أقل للأميرة لشتنشتاين أيا من ذلك خاصة أننا فى ليلة الاحتفال ببدء مباريات «البريدج» التى ترعاها الأميرة، ومع ذلك فقد بدا لى فى حديثها أنها لا تقدر البريدج بالدرجة التى كنت أتوقعها، فقد أخبرتنى فى حديثنا أن زوجها يكبرها ب ٢٥ عاما وأنه لم يعد بمقدوره الآن أن يترك القصر لكبر سنه، وأن هذا الوضع يترك لها وقتا طويلا

لا تعرف كيف تملؤه، ثم قالت : أنا ألعب البريدج لكى أقتل الوقت ! لكنها مع ذلك اعترفت بأنها تعشق اللعبة إلى حد الإدمان وأنها لا تستطيع أن تبتعد عنها أكثر من أيام معدودة، ثم قالت : ألا يعتبر هذا إدمانا؟ فهزرت رأسى بالموافقة. فابتسمت الأميرة مرة أخرى.

ورغم أن معظم من كانوا على الطاولة كانوا يتحدثون عن البريدج فقد تركز حديثى مع الأميرة على إمارة لشتنشتاين، وقد أخبرتنى أن استقلالها يعود إلى عام ١٨٦٦م وقالت إن قوة الإمارة فى صغرها، فهى أصغر من أن يطمع فيها أحد، على حد قولها، وقد أخبرتنى أن برلمان الإمارة يتكون من ١٥ عضوا فقط، أما الحكومة فهى تتألف من رئيس ونائب للرئيس وثلاثة مستشارين، وقالت إن الأمير هو الذى يعينهم بناء على توصية البرلمان، لكن لشتنشتاين - كما علمت من الأميرة - تتمتع بوحدة من أهم المجموعات الفنية وذلك فى متحف إنجلاندر هاوس بالعاصمة فادوز الذى يتضمن بعض أهم الأعمال الفنية من القرن الـ ١٧ خاصة من المدرسة الهولندية، وقد دعتنى الأميرة لمشاهدتها حين علمت باهتمامى بالفن التشكيلى.

وفى اليوم التالى للافتتاح بدأت مباريات البريدج فى كازينو دوفيل وقد راعنى حجم المال المتداول فى هذه اللعبة والذى يزيد على مثيله فى بورصات بعض الدول الأخرى.



الدكتور رشاد رشدى: الجامعة أكبر من الصحافة!

كنت أتصورها مهمة صعبة للغاية أن أذهب إلى الدكتور رشاد رشدى لأخبره بأننى سوف أترك قسم اللغة الانجليزية وآدابها بآداب القاهرة وهو القسم الذى كان يرأسه الدكتور رشاد بعد أن عرض على الأستاذ محمد حسنين هيكل العمل بجريدة «الأهرام».. كان الدكتور رشاد أستاذى الذى تربطنى به أوثق العلاقات التى تربط بين التلميذ وأستاذه، فقد كان يؤمن بى وهو الذى اختارنى للتدريس بالكلية بعد تخرجى.



الدكتور رشاد رشدى

كان الدكتور رشاد رشدى أستاذا عظيما تخرج أكبر العاملين بالحقل الثقافى على يديه ، وقد ربطتنى به منذ بداية التحاقى بالجامعة علاقة قوية استمرت بعد تخرجى وعملى معه ضمن هيئة التدريس بالكلية.

ورغم ولعى بالأدب الانجليزى وسعادتى بدراسته وتدريسه إلا أننى كنت أشعر فى أعماقى بالرغبة فى الالتحام بالواقع المعيشى بشكل أكبر والاهتمام بالقضايا المهمة التى

كانت تشغل وجدان الأمة والتي تتعدى تدريس الأدب الانجليزى فى مجتمع أكثر من نصف أبنائه من الأميين الذين يفرض وجودهم قائمة أخرى لأولويات الاهتمام العام.

ولذلك فحين عرض على الأستاذ محمد حسنين هيكل فى أوائل عام ١٩٧١م العمل فى الأهرام شاغلتنى الفكرة باعتبار أن الأهرام كان فى ذلك الوقت أحد أدوات تشكيل ذلك الواقع الذى كنت أسعى للالتحام به ، وقد أمضيت شهرا أجمع بين عملى بالجامعة والعمل بالأهرام إلى أن وصلت إلى قرارى بأن أترك الجامعة وأنتقل للعمل بالأهرام ، فذهبت إلى الدكتور رشاد رشدى أعرض عليه الأمر وأسأل رأيه فى قرارى هذا.

واستقبلنى الدكتور رشاد بترحيبه المعتاد وأخذنى إلى شرفة مسكنه المطل على النيل بالجيزة، حيث كان يحلو له أن يستقبل ضيوفه ، وأخذت أقدم رجلا وأوخر أخرى وأنا أتلمس طريقي فى الحديث، فقد كنت فى واقع الأمر قد جننت لأخبره بأننى سأترك الجامعة التى اختارنى للعمل معه بها قبل ثلاث سنوات وأذهب إلى عمل آخر، ولم تكن المهمة سهلة.

وقد استمع إلى الدكتور رشاد دون مقاطعة، مبديا اهتمامه بما أقول إلى أن انتهيت، فتمنى لى التوفيق، قلت له: لكنى أريد رأيك فى هذا القرار.

قال: أنت تعرف أن رأيى هو أن الجامعة أكبر من الصحافة، ولقد عملت بالصحافة من موقعى فى الجامعة دون أن أتركها سواء بالكتابة فى الصحف السيارة أو برئاسة تحرير بعض المجلات المتخصصة مثل «الآراب ريفيو» ومجلة «المسرح» أو «الجديد»، لكن طالما تقول إنك خبرت العمل فى الأهرام لمدة شهر الآن وإنك ارتحت له فهذا يعنى أن قرارك صحيح، على الأقل بالنسبة لك، لذلك أتمنى لك التوفيق وأقول لك إن الجامعة ستكون دائما مستعدة لاستقبالك فى أى وقت تقرر التدريس بها إلى جانب عملك.

وخشية أن يؤثر الأستاذ على قرار تلميذه وجدت الدكتور رشاد يغير موضوع الحديث ويأخذنى ليفرجنى على بعض آخر مقتنياته، فقد كان يجمعنا حب اقتناء التحف القديمة، وكثيرا ما كنا ننزل سويا إلى شارع هدى شعراوى، حيث محلات الأنتيكات وأذكر أنه أطلعنى فى ذلك اليوم على زهرية تركية قديمة مصنوعة من الخزف ظلت مرتبطة فى ذهنى بذلك اليوم، وبعد رحيل الدكتور رشاد عام ١٩٨٣م أهدتنى زوجته السيدة ثريا تلك الزهرية، التى مازلت معتزا بها لما تحمله لى من ذكرى خاصة.

ففى ذلك اليوم تعلمت كيف يكون علاقة الأستاذ بتلميذه، بحيث يقبل قراره ويتمنى له النجاح والتوفيق دون أن يفرض عليه وجهة نظره الشخصية، فقد كنت أعرف أن الدكتور رشاد لا يتفق مع قرارى لأن أستاذ الجامعة عنده أكبر من الصحفى، لكنه وجد فى حديثى حماسا للعمل بالصحافة فتمنى لى صادق التوفيق.

ومرت سنوات السبعينيات فباعدت بينى وبين الدكتور رشاد، حيث كان هو قد اقترب من الرئيس السادات، بينما كنت أنا على النقيض منه فكربا وسياسيا، ولكن ذلك لم يفصل بيننا فكنا كلما التقينا يكون اللقاء حميميا بين الأستاذ وتلميذه.

وأذكر أن الدكتور رشاد رشدى فى آخر لقاء لنا قبل رحيله بحوالى سنة تحدث معى طويلا فى أشياء كثيرة وحين عدنا إلى النقطة التى افترق فيها الطريق بيننا بقرارى الانتقال إلى الأهرام شرح لى الدكتور رشاد وجهة نظره فاعترف أنه لم يكن موافقا على الإطلاق على قرارى هذا، ثم قال: لكنه من وجهة نظرك كان قرارا سليما لذلك تركت تتخذ دون أن يؤثر عليك رأى الشخصى لأنى قد أعرف أن قرارك كان فى صالحك، فقد كنت رافضا الانعزال فى البرج العاجى الذى كان يطاردك بحكم نشاطك وتعليمك الأولى بكلية فكتوريا، ثم دراستك للأدب الانجليزى بالجامعة، لذلك وجدت أنك اتخذت القرار الصائب.

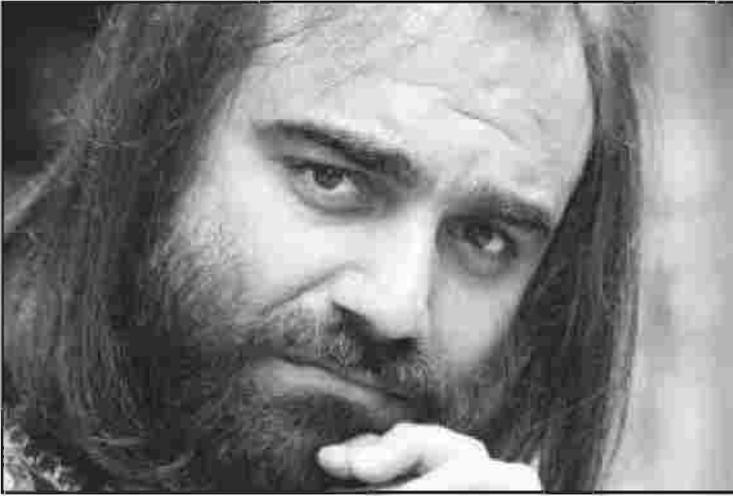
قلت: لكنك رفضت مناقشته وتركتنى طوال تلك السنوات أحس بأنك تعتقد أننى مخطئ، قال: لقد كان إحساسك فى محله، فلا أحد يترك الجامعة ليعمل صحفيا، ولو كنت ناقشتك لربما أقنعتك بالعدول عن قرارك ولم يكن ذلك فى صالحك، لذلك تمنيت لك التوفيق دون أن أناقشك.

وفى يوم ٢١ فبراير عام ١٩٨٣م رحل الدكتور رشاد رشدى عن عالمنا تاركا وراءه ذكرى عطرة لأستاذ عظيم، واليوم كلما نظرت إلى الزهيرة التركى القديمة تذكرت ذلك الأستاذ وترحمت عليه، فالأستاذ الحقيقى ليس هو من يجعل من تلاميذه نسخا كربونية منه ومن أفكاره ويتخذون نفس قراراته، وإنما هو ذلك الذى ينظر إلى مصلحة تلميذه حتى لو كانت تلك المصلحة تتعارض مع آراء الأستاذ أو مواقفه.



ديميس روسوس: المختطفون احتفلوا بعيد ميلادى!

حين قابلت المطرب العالمى ديميس روسوس لأول مرة فى أوائل السبعينيات كنت أعرف أنه ولد فى الإسكندرية عام ١٩٤٦م لأبوين يونانيين، فقد كانت سيرة حياته متداولة فى كل الصحف والمجلات الدولية باعتباره المطرب المفضل للشباب والذى حقق أكبر النجاح بالأغنيات الخفيفة التى اشتهر بها، لكنى لم أكن أعرف أنه ابن راقصة السينما المصرية الشهيرة نيللى مظلوم.



ديميس روسوس

قال لى ديميس روسوس: لقد نشأت فى بيت فنى وتعلمت العزف على الجيتار والغناء منذ طفولتى، فقد كانت والدتى على صلة بالوسط الفنى من خلال الأفلام العديدة التى ظهرت فيها، والتى قاربت الـ ٢٠ فيلمًا، كان أشهرها بالطبع فيلم (ابن حميدو) مع إسماعيل يس. وحين تركت مصر مع أسرتى عام ١٩٦٣م إلى اليونان كونت الفرقة الموسيقية Aphrodites Child التى كنت مطربها الرئيسى والتى صنعت نجاحى فى العالم أجمع، إلى أن انفصلت عن الفرقة وأصبحت أغنى بمفردى.

كانت الأغنية الرائجة لديميس روسوس فى ذلك الوقت هى أغنية Falling أى (إنى أسقط) من ألبومه الشهير «Far Away» وكان شقيقى الأصغر الموسيقى أشرف سلماوى الذى يقيم فى انجلترا منذ أكثر من ٣٠ عاماً هو الذى كتب موسيقى الأغنية وكلماتها للمطرب المصرى المولد، ذائع الصيت. وحين جاء روسوس للغناء فى مصر فى السبعينيات طلب منى أشرف أن ألتقى به، فدعوته على العشاء فى صحراء الأهرامات بالجيزة، حيث كانت للأسرة استراحة أزيلت بعد ذلك ضمن مشروع هضبة الأهرام الذى لم يتحقق.

كان ديميس روسوس مشهوراً بالبدانة المفرطة رغم صوته الرفيع ذى الطبقات الحادة، ولذلك كان من أكثر ما حرص على شرائه من مصر مجموعة من الجلابيب الواسعة التى كان يهوى لبسها حتى فى حفلاته الغنائية والتى كانت تضى عليه مسحة شرقية تزيد من جاذبيته على المسرح.

فى تلك الأسمية أعددنا ل ديميس روسوس خروفاً مشويًا على الطريقة البدوية فى الصحراء التهم لحمه بنهم شديد، وسألنى الطاهى إن كان الضيف الكبير يحب اللسان حتى يخرج له، فسألته ديميس فسألنى بدوره: هل لسان الخروف يؤكل؟ قلت: بالطبع، فما كان منه إلا أن انتزع اللسان من فم الخروف المشوى وأكله وسط زهول الطاهى الذى قال لى: كان عليه أن ينتظر أن أقشره له، لكن السيف كان قد سبق العزل.

لكن الأيام دارت وبدأت البدانة تثقل على النجم الشاب، ونصحته الأطباء بضرورة إنقاص وزنه فبدأ صراعه النفسى للتخلص من العلامة المميزة التى كانت تعطى صورته طابعها الشخصى، وقد أثر ذلك على مبيعات أسطواناته فأصيب باكتئاب نفسى، وفى عام ١٩٨٢م أصدر روسوس كتاباً بعنوان A Question of Weight أى (مسألة وزن) روى فيه قصته مع البدانة التى هزمته فعاد مرة أخرى لوزنه الثقيل، وعاد مع الوزن النجاح الفنى الذى كان قد توقف لفترة.

ولقد قابلت ديميس روسوس مرة ثانية فى اليونان حيث يعيش ستة أشهر من السنة ويعيش الستة الأخرى متنقلاً بين مختلف دول العالم لتقديم حفلاته الموسيقية، كان ذلك فى عام ١٩٨٥م وكان اسمه يتردد فى كل أجهزة الإعلام الدولية ليس بسبب أغنية جديدة قدمها، وإنما لأنه كان ضمن ركاب طائرة TWA الأمريكية التى اختطفت يوم ١٤ يونيو من ذلك العام، وهو يوم عيد ميلاده، وقد حدثنى ديميس روسوس طويلاً عن المختطفين الذين قال إنهم كانوا فرحين به جداً، وكان قد أخبرهم أنه فى طريقه لقضاء

عيد ميلاده مع أسرته فى اليونان فأقاموا له احتفالاً بعيد ميلاده على متن الطائرة المختطفة مع بقية المحتجزين.

وقال ديميس روسوس: لقد أثرت فى جداً هذه التجربة لأنها تراوحت بشدة ما بين الشئ ونقيضه.. ما بين الفرح والفرع، وما بين التعامل الإنسانى والموقف القاسى، وقد أحسست بعدها أننى قد كتب لى عمر جديد فأصدرت ألبوماً جديداً بعد فترة غياب اسمه Time، أى (الزمن) وسأطرحه فى الأسواق قريباً، وأشعر أنه لولا تلك التجربة التى هزتنى لما كان قد صدر هذا الألبوم. وبالفعل حقق هذا الألبوم نجاحاً كبيراً عند طرحه فى الأسواق، واعتبر عودة ديميس روسوس إلى عالم الغناء.

وسألت ديميس روسوس: كم أغنية أصدرت حتى الآن؟ فقال: أكثر من ٤٠ مليون اسطوانة تضمنت كل الأغانى التى أصدرتها، وقد حصلت أيضاً على جوائز الأسطوانات الذهبية والبلاتينية والماسية التى تمنح لمن تباع أسطوانته بالملايين.

قلت: لقد قدمت حفلاتك فى كثير من دول العالم.. فما هى أكثر دولة تشعر فيها بحرارة الجمهور؟ قال: من حيث عدد المرات التى زرتها هى: ألمانيا فقد غنيت فيها كثيراً وكان الجمهور دائماً مرحباً وبوعى، أما مصر فليس هناك مثل جمهورها الذى يعرف كيف يكرم الضيف، لكنى للأسف لم أغن فيها إلا مرة واحدة.

قلت له: لقد قلت لى منذ سنوات أثناء لقائنا فى مصر إنك لو لم تكن مطرباً لوددت أن تكون طاهياً، والآن وبعد صراعك المعروف مع البدانة.. هل ما زلت عند رأيك؟ قال: أكثر من أى وقت مضى.



جون بادو: كيندى كان يحترم عبد الناصر

قال لى عميد السفراء الأمريكيين فى القاهرة جون بادو إن الرئيس كيندى استدعاه بمجرد نجاحه فى انتخابات الرئاسة عام ١٩٦١م وقال له إن هناك ثلاث دول مهمة فى العالم يريد أن يبدأ صفحة جديدة فى علاقته بها، وهى مصر واليابان والهند، وأنه يريد أن يكون على علاقة مباشرة مع الرئيس المصرى جمال عبد الناصر بعيدا عن ضغوط الدوائر اليهودية فى أمريكا.

ربما كان جون بادو أفضل السفراء الأمريكيين الذين عرفتهم القاهرة نظرا لخبرته الطويلة بالوطن العربى ولكونه أستاذا أكاديميا وليس دبلوماسيا محترفا يضطره موقعه أن يعبر عن السياسة الأمريكية التقليدية تجاه الشرق الأوسط، وقد كان هذا هو السبب الذى جعل الرئيس الأمريكى جون كيندى يختاره سفيرا فى القاهرة بمجرد نجاحه فى انتخابات الرئاسة عام ١٩٦١م.

وقد زار بادو العالم العربى لأول مرة عام ١٩٢٨م حين ذهب إلى العراق حيث أقام لمدة سبع سنوات. ثم فى عام ١٩٣٦م جاء بادو إلى القاهرة أستاذا للفلسفة والدين بالجامعة الأمريكية، وفى عام ١٩٤٥م عين رئيسا للجامعة إلى أن قامت ثورة يوليو عام ١٩٥٢م فغادرها فى العام التالى إلى الولايات المتحدة ليتولى رئاسة مؤسسة الشرق الأوسط.

ولقد قابلت جون بادو فى الولايات المتحدة فى منتصف الثمانينيات وكان قد أصدر كتابا جميلا ضمن ذكرياته عن الشرق الأوسط وسنوات عمله فى القاهرة وكان يحمل عنوان *The Middle East Remembered* وقد أهدانى نسخة من كتابه عليها إهداء رقيق وجلسنا جلسة ممتدة روى لى خلالها الرجل العجوز أن الرئيس جون كيندى قد استدعاه بمجرد توليه الرئاسة عام ١٩٦١م وقال له إنه يريد أن يبدأ صفحة جديدة فى علاقاته بمصر والهند واليابان، وأنه اختار لهذه الدول سفراء جدداً من خارج السلك الدبلوماسى حتى لا يكونوا مرتبطين بالتاريخ السابق للعلاقات الأمريكية بهذه الدول.

وقلت لبادو: أنت تعتبر عميد السفراء الأمريكيين في القاهرة، ولك خبرة كبيرة بشئون الشرق الأوسط، فهل تعتقد في إمكانية وجود علاقات طيبة بين الولايات المتحدة والدول العربية بالرغم من العلاقات الخاصة التي تربط الولايات المتحدة بإسرائيل؟

فقال: أنا أعلم أن هذه العلاقة في بعض الأحيان دفعت الولايات المتحدة لاتخاذ مواقف غير موضوعية في الشرق الأوسط، لكن ذلك شيء متغير من عهد إلى آخر وحرص الولايات المتحدة على بقاء إسرائيل لا يعنى مثلا تأييد احتلالها للأراضي العربية ولا عدم الدفاع عن حق الفلسطينيين في إقامة دولتهم، ولقد كنت شاهدا بنفسى في بداية الستينيات على علاقة صحية كانت مازالت وليدة في ذلك الوقت بين كل من الرئيسين المصرى والأمريكى، لقد كان الرئيس كيندى يكن احتراماً كبيراً للرئيس عبد الناصر ولأول مرة في تاريخ العلاقات بين البلدين وضع كيندى قاعدة ثابتة بالأى يقدم على أى خطوة مهمة في الشرق الأوسط دون أن يطلع الرئيس عبد الناصر عليها مسبقاً.

ويقول بادو: لقد التزم كيندى بهذا المبدأ حتى في القرارات المتعلقة بإسرائيل ثم يسرد في هذا السياق واقعة محددة كمثل، وهى صفقة الصواريخ الأمريكية من طراز (هوك) التى باعتها الولايات المتحدة لإسرائيل عام ١٩٦٢م، فيقول إنه بعد مرور عام على تولى كيندى الرئاسة حلت انتخابات الكونجرس ووجدت الإدارة الأمريكية نفسها واقعة تحت ضغوط يهودية هائلة لإتمام تلك الصفقة حتى إن أموال الحملة الانتخابية كان قد تم تجميدها إلى أن يحدد الرئيس كيندى موقفه من الصفقة.

وتزداد تجاعيد وجه بادو عمقا وهو يتذكر ملابسات موضوع الصواريخ وحجم الضغوط التى مورست على إدارة الرئيس كيندى، ثم يقول: لقد كان هذا الموضوع يسبب استياءً شديداً للرئيس كيندى، وقد أعرب الرئيس عن استيائه هذا فى أكثر من مناسبة ولم يخفه، وقد أمكن توصيف الهدف من هذه الصواريخ على أنه لأغراض دفاعية بحتة باعتبار أن صواريخ (هوك) صواريخ أرضية ستعمل على حماية الأجواء الإسرائيلية من أى هجوم خارجى، لكن موافقة الإدارة الأمريكية عليها كان - على حد قول بادو - لأسباب سياسية بحتة.

ثم يقول بادو: لقد كانت هناك توجيهات واضحة من الرئيس كيندى بضرورة إبلاغ عبد الناصر بالموضوع قبل الإعلان عن الصفقة، ولحساسية الموضوع الذى كان كيندى

يعلم أنه سيغضب الرئيس المصري، فقد قرر كيندى ألا يكتفى بإبلاغ عبد الناصر عن طريق السفير الأمريكي وإنما أرسل إليه مبعوثا خاصا من واشنطن حاملا رسالة شخصية من كيندى، فقد كان كيندى حريصا على العلاقات الجديدة التى أقامها مع عبد الناصر وعلى استمرارها.

ويتذكر بادو زيارة مبعوث كيندى الخاص للرئيس المصرى والذى صحبه فيها، فيقول إن عبد الناصر أبدى تقديره لقرار الرئيس الأمريكى بإطلاعه على تفاصيل الصفقة لكنه أكد بكل وضوح معارضته الكاملة هذه الصفقة وقال إنه سيهاجمها بكل قوة، وبالفعل فقد امتلأت الصحف المصرية فى الأيام التالية للإعلان عن صفقة الصواريخ بالهجوم على قرار الولايات المتحدة. وأقول لبادو: لكن أسلوب الدبلوماسية الشخصية Personal Diplomacy الذى اتبعه كيندى مع عبد الناصر لم يغير فى المثال الذى ذكرته من السياسة الأمريكية فى شيء.

قال: إن هناك أمثلة أخرى تغير فيها القرار فى ذلك العام نفسه مثلا وقع الانفصال بين مصر وسوريا وكان الرأى الغالب فى واشنطن يميل إلى ضرورة استغلال ذلك الوضع سياسيا ضد عبد الناصر والمساعدة فى الاعتراف بالحكومة الانفصالية فى سوريا، وكانت الدوائر الموالية لإسرائيل تقود هذا الاتجاه مع وكالة المخابرات المركزية (سى. آى. إيه) لكن قرار كيندى كان عكس ذلك، فقد انتظرت واشنطن إلى أن اعترفت بقية الدول بالنظام الجديد حتى لا يكون لاعترافها تأثير سلبى على النظام المصرى.

وتلمع عينا بادو وهو يتذكر ذلك العصر ويقول: دعنى أقول لك إن حرص الرئيس كيندى على إطلاع عبد الناصر على القرارات المهمة للإدارة الأمريكية امتد بعد ذلك فشمّل السياسات غير المتعلقة بالشرق الأوسط، مثل التجارب النووية التى حرص كيندى على إخطار عبد الناصر بأنه سيستأنفها قبل أن يفعل ذلك ب ٤٨ ساعة.



دومنيك بوديس: حملة بونابرت لم تكن كلها تنويرية!

دومنيك بوديس هو رئيس معهد العالم العربي في باريس ، وهو عمدة مدينة تولوز السابق ورئيس هيئة الإذاعة والتليفزيون الفرنسي ، وهو أيضا صحفى مقدر عمل مراسلا للتليفزيون الفرنسي في لبنان أثناء الحرب الأهلية والتي أصابت إحدى شظاياها دومنيك بوديس ، حيث جرح أثناء تغطية أحداثها.. لكن بوديس هو أيضا كاتب روائى برع فى كتابة الرواية التاريخية بشكل خاص.

ولقد عرفت دومنيك بوديس ٦٠ عاما كاتبا روائيا قبل أن أعرفه بصفاته الأخرى ، فقد كانت روايته الشهيرة «المؤامرة» Le Conjuraton تتصدر واجهات المكتبات أثناء إحدى زياراتى لفرنسا بعد أن فازت بجائزة «روليه» للرواية عام ٢٠٠١م وأذكر أنني التهمت الرواية خلال ثلاثة أيام قضيتها فى العاصمة الفرنسية قبل أن أسافر إلى تولوز لحضور مؤتمر كنت مدعوا لحضوره.

وتدور أحداث الرواية فى القرون الوسطى ما بين فرنسا ومدينة القدس وتصور مرحلة انحلال المملكة التى أقامتها الحروب الصليبية فى القدس بعد أن اعتلى عرشها الملك الصبى بودوان ذو الـ ١٤ عاما والمريض بالجذام ، كما تصور على الجانب الآخر تصاعد نجم القائد صلاح الدين الأيوبي ونجاحه فى النهاية فى تحرير بيت المقدس.

وتعتمد الرواية - رغم صدقها التاريخى - على خيال روائى خلاب وأسلوب سردى مشوق جعلنى أتابع الإنتاج الأدبى لدومنيك بوديس ، وأسعدنى كثيرا أن تلقيت منه حين تعرفت إليه بعد ذلك إهداء رقيقا أعتز به على رواية أخرى هى من أفضل كتاباته وهى رواية «يجب قتل شاتوبريان!» والتي رغم أنها تحمل اسم الأديب الكبير فرانسوا رينيه دى شاتوبريان أبو الرومانسية فى الأدب الفرنسى فإن أحداثها تجرى فى مصر وبطلها هو محمد على.

وحين قام الرئيس الفرنسى السابق جاك شيراك بتعيين دومنيك بوديس رئيسا لمعهد العالم العربى كنت قد عرفته عمدة لمدينة تولوز، فقامت بزيارته لتهنئته وتهنئة المعهد

به متوقعا أن تكون رئاسته بداية لرحلة جديدة فى تاريخ هذا المعهد الفريد من نوعه فى أوروبا.

تم إنشاء معهد العالم العربى فى باريس بمبادرة من الرئيس الفرنسى الأسبق فرانسوا ميتران الذى منح المعهد الأرض المقام عليها هدية من فرنسا، ويقوم الرئيس الفرنسى شخصيا بتسمية رئيس المعهد، أما مديره فيكون شخصية عربية يتفق عليها سفراء الدول العربية فى باريس وفق تعليمات حكوماتهم، والهدف من المعهد هو التقريب بين فرنسا والعالم العربى على المستويين الثقافى والفكرى، وهو يكتسب أهمية خاصة فى الوقت الراهن، حيث تتعرض صورة العرب والمسلمين لكثير من التشوهات وعدم الفهم الصحيح.

ويأتى دومنيك بوديس إلى معهد العالم العربى خلفا لثلاثة رؤساء كان أولهم إدجار بتيزانى الصديق المقرب لميتران والذى خلفه كاميل كابانا ثم إيف جينا. أما بوديس فهو أصغرهم سنا وأكثرهم نشاطا، وقد أسهمت سنوات عمله فى لبنان فى معرفة أهمية الشرق الأوسط والدول العربية، وهو متزوج من إيزابيل صياح الكاتبة الجزائرية الأصل والتي كتبت أحد أهم الكتب التى صدرت فى فرنسا عن أم كلثوم وعنوانه «أم كلثوم.. كوكب الشرق».

وقد جاء تعيين بوديس رئيسا لمعهد العالم العربى فى وقت كان يعانى فيه المعهد من عجز مالى كبير كان قد وصل إلى ما يزيد على ١٥ مليون يورو وكانت هناك دولتان عربيتان ممتنعتان تماما عن تسديد حصتهما وهما ليبيا التى فترت حماستها فى السنوات الأخيرة لأى عمل جماعى عربى واتجهت قيادتها صوب القارة الإفريقية، والعراق التى أصبحت غير قادرة على تسديد حصتها بعد الغزو الأمريكى، وتصل مساهمة الدولتين إلى ما يقرب من ثلث الميزانية الإجمالية للمعهد، ولقد ساهمت وزارة الخارجية الفرنسية فى سد جزء من ذلك العجز حين رفعت مساهمتها فى العام الماضى من ٦ ملايين إلى ٩ ملايين يورو ووافق مجلس إدارة المعهد على سحب ٤,٥ مليون يورو من رأس مال المعهد لتسديد بعض المستحقات العاجلة.

ولقد حدثنى بوديس بالتفصيل عن هذا الوضع الذى لا يمكن استمراره وقال بالطبع أنا لا أستطيع أن أقنع العراق بتسديد مديونياتها لأسباب خارجة عن إرادتى، لكنى سأعوض ذلك بطرق أخرى.

وفى زيارتى التالية لباريس لم يكن بوديس قد أكمل العام الأول لرئاسته لمعهد العالم العربى لكنه كان قد زار طرابلس وحصل خلال مقابلته للعقيد القذافى على المساهمة الليبية

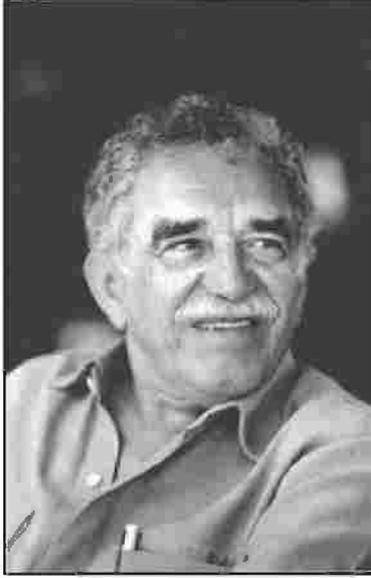
المتأخرة فى ميزانية المعهد، كما حصل أثناء زيارة قام بها خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله لباريس على مليون يورو إسهما من السعودية فى تمويل أنشطة المعهد. ولقد دعانى بوديس ذات مرة إلى حفل استقبال أقيم فى شرفة سطح مبنى المعهد المطلة على برج إيفل وكان منظر باريس أمامنا خلايا لكن أرضية الشرفة كانت مهدمة وبدا منظرها كئيبا بالمقارنة، ولمح بوديس نظرتى إلى أرضية الشرفة فقال على الفور كل هذا سيتغير.. سنرفع هذه الأرضية القبيحة ونستبدلها بالفسيقساء الملونة ذات الطراز العربى، ثم أضاف وهو يبتسم والمعهد لن يدفع فى ذلك مليما!

وكان أحد أول المشروعات التى بدأ بها بوديس رئاسته والتى شرفت بعضويتى فى اللجنة المصرية الفرنسية المشرفة عليه هو المعرض الفخم الذى يحمل اسم «بونابرت ومصر» والذى طالب بوديس خلال اجتماعات اللجنة أن يضاف لاسمه العنوان الفرعى «ظلال وأضواء» كى يقدم الجانبين المظلم والمضيئ فى حملة نابليون بونابرت على مصر. وقد أراد بوديس لهذا المعرض الذى سيفتتح فى أكتوبر ٢٠٠٨م أن يتميز بموضوعيته، وهو يقول رغم اعترافنا بالجانب التنويرى للقائد بونابرت بمصر فإننا لا ينبغى ألا نغفل أن حملته لم تكن مكونة من العلماء وحدهم، إنما كان بها أيضا العسكر، وهؤلاء كان تأثيرهم على مصر مختلفا تماما عما أصدرنا كتاب «وصف مصر».



جابريل جارسيا ماركيث: لم أعد قادرا على الكتابة!

أى اعتراف خطير هذا حين يشكو أحد كبار أدباء نوبل من أن معينه قد نضب وأنه أصبح غير قادر على الكتابة! هذا ما قاله لى جابريل جارسيا ماركيث فى حديث عابر فى مناسبة اجتماعية لم يكن الغرض منها إجراء حديث صحفى، ولولا أننى وجدته يكرر هذه الشكوى أخيرا فى أحاديث صحفية منشورة لما جرأت على نشر اعترافه لى بذلك لأول مرة منذ أكثر من عام مضى.



جابريل جارسيا ماركيث:

فى عام ٢٠٠٥م صدر كتاب جديد لأديب نوبل الكبير جابريل جارسيا ماركيث وهو (ذكريات مومساتى الحزينات) وكان ماركيث فى الولايات المتحدة فى ذلك الوقت وجمعتنا مناسبة اجتماعية فى بيت أحد الأصدقاء الذى داعب ماركيث وهو يقدمنى له فقال: دعنى أقدم لك كاتبا مصرية تسلم مثلك جائزة نوبل، فسهم الكاتب الكبير قليلا، وقد لاحظ أننى لا أشبه نجيب محفوظ ثم ابتسم وهو يقول: إن صورك يا مستر محفوظ تختلف كثيرا عن شكلك فى الطبيعة، ضحكنا جميعا وسارعت بتفسير دعابة مضيفنا قائلا: إننى كنت الممثل الشخصى لنجيب محفوظ فى احتفالات تسليم الجائزة عام ١٩٨٨م.

وكان بصحبة ماركيث زوجته مرسيدس التى

تزوجها منذ ٤٨ عاما، وقد أخبرتنى أنهما لم يحضرا خصيصا إلى الولايات المتحدة من أجل صدور كتاب (جابو) الجديد فهكذا كانت تنادى زوجها جابريل، ذلك أنهما ينتقلان خلال العام ما بين منزلهما الثلاثة الواقعة فى بلدهما الأصلى كولومبيا، وفى المكسيك وفى لوس أنجلوس بالولايات المتحدة، وهنا تدخل (جابو) ليقول: إننى لم أعد أحب السفر

كثيرا كما كنت فى الماضى ، لذلك فنحن حين نحل ببلد عادة ما نبقى بها شهرين أو ثلاثة على الأقل ، ولولا صدور الطبعة الإنجليزية لكتاب (المومسات) (هكذا أسماء) أثناء وجودى هنا لما كنت قد حضرت هذا الإصدار ولا كان صديقنا المشترك قد أقام لى هذا العشاء . كان ماركيز فى ذلك الوقت فى الـ ٧٧ من عمره لكنه كان مليئا بالنشاط والحيوية ، وقد بدت زوجته مرسيدس فى حوالى الـ ٧٠ وهى سيدة بشوشة تميل إلى البدانة وتتحدث كثيرا عن ابنيهما رودريجو الأكبر وجونزالو الأصغر ، أما رودريجو فهو فنان جرافيك ، بينما جونزالو يعمل بالسينما ويقيم بالولايات المتحدة ، وقد أخرج عدة أفلام لفتت الأنظار ، وقد أكد ماركيز أن رودريجو ورث حب الفن السابع منه شخصيا ، حيث كتب ماركيز كثيرا عن السينما فى شبابه ، خاصة السينما الإيطالية وذلك أثناء السنتين التى أمضاها فى روما ، واليوم فإن لديه قاعة سينما فى منزله فى كولومبيا بها آلة عرض ٣٥ مللى فى صالة تقع أسفل المنزل وتشبه قاعات السينما التى فى المدينة وقد اصطفت بها المقاعد وراء بعضها البعض .

ثم قال ماركيز : لقد كتبت أيضا عددا كبيرا من السيناريوهات السينمائية تماما مثل نجيب محفوظ ، ثم ضحك وهو يقول : لكنى تفوقت عليه فى أننى مثلت أيضا للسينما ، فأضافت زوجته : لقد مثل فى فيلمين مأخوذين من أعماله الروائية .

قلت : إن الكثير من رجال الأدب كان لهم تجربة فى التمثيل خاصة رجال المسرح مثل شكسبير نفسه الذى بدأ حياته ممثلا ثم تحول إلى الكتابة المسرحية ، وقلت لماركيز : إن كاتبنا المسرحى الأكبر فى الوطن العربى هو توفيق الحكيم ، قد حدثنى ذات مرة أنه كان فى شبابه يعايش أجواء المسرح فى شارع عماد الدين فيدخل إلى كواليس المسرح ويقيم علاقات صداقة مع الممثلين والفنيين وكأنه ممثل مسرحى وتلك خبرة مهمة بالنسبة للكاتب المسرحى لا يمكن أن يكتسبها من لا يعرف المسرح إلا من خلال النص الأدبى .

قال ماركيز : هذا صحيح ، وماذا عنك أنت كيف تعلمت المسرح من الكتاب الأدبى أم من الكواليس المسرحية؟

قلت : من الاثنين معا ، فقد درست الأدب المسرحى بالجامعة كما أننى خلال فترة الدراسة كنت عضوا فى فريق التمثيل بالجامعة ومثلت بالتليفزيون ، كما ظهرت فى دور صغير بأحد الأفلام السينمائية أيضا فقال ماركيز : إن رجال السياسة أيضا يمثلون فى

السينما، خاصة فى أمريكا، أو أن الممثلين أصبحوا يتجهون إلى السياسة مثل أنولد شوارتزنجر والأمريكان لديهم رئيس جمهورية ظهر فى السينما.

قلت: ليس فقط فى أمريكا، ففى أحد الأفلام الروائية المصرية التى كانت تحكى قصة حرب أكتوبر ظهر قائد الطيران حسنى مبارك فى دوره فى الحياة، وقد أذيع هذا الفيلم عدة مرات فى التلفزيون.

فقال ماركيز: إن رجال السياسة لم يتركوا لنا شيئاً!

قلت: وهل أحببت التمثيل؟

قال: لا بأس بالتمثيل لولا إعادة تصوير المشاهد عدة مرات، لكن من حق كل فنان أن يسعى إلى الكمال، ولأنى أعيد كتابة أعمالى عدة مرات فلم أجرؤ على الاعتراض على إعادة تمثيل المشاهد أكثر من مرة.

قلت: كم مرة تعيد كتابة أعمالك؟

قال: فى بعض الأحيان عشر مرات وفى أحيان أخرى لا أجدنى فى حاجة لإعادة كتابتها على الإطلاق.

قلت: وماذا تكتب الآن؟

ألقيت بسؤالى هذا بشكل عابر دون أن أعرف أننى أمس منطقة حساسة لم يكن لى أن أتطرق إليها.

سكت ماركيز برهة وكانت زوجته وبعض من كانوا حولنا قد ابتعدوا قليلاً واختفت النظرة المرححة التى كانت ترتسم على وجهه طول السهرة ثم قال لى: إننى لا أكتب شيئاً.

ثم واصل حديثه وكأنه يريد أن يشكوا همه لأحد: لقد مضى على الآن ما يزيد على نصف العام، وأنا لا أجد ما أكتبه، إننى أجلس كل يوم إلى مكتبى وفى يدي القلم، لكنى لا أكتب شيئاً، إلى متى سيستمر هذا؟.. لست أعرف.

وشعرت بمحنة الأديب الأكبر الذى فاز بجائزة نوبل عام ١٩٨٢م حين يشعر أن معينه ونبع حياته قد نضب.

قلت بسرعة: هل تعلم أن نجيب محفوظ توقف عن الكتابة لمدة ما يقرب من ست سنوات بعد أن فرغ من كتابة (الثلاثية)؟.. لقد تصور وقتها أنه لن يكتب ثانية ولهذا اتجه إلى السينما، لكنه فجأة عاد يكتب من جديد وبغزارة أكثر من ذى قبل.

وأخذنى ماركيز بعيدا وكأنه يريد أن يسمع المزيد ويقول المزيد أيضا وما أن جلسنا على مقعدين متقابلين حتى قال لى: إننى أجلس بالساعات أمام الورقة عسى أن تأتيني فكرة أو جملة أو كلمة، لكن لا شيء يأتي وأكثر ما يضايقنى فى حياتى هو مشهد الورقة البيضاء بعد ساعات من محاولة ملئها، إننى لم أقصر فى عملى، لكن هناك طريقا مسدودا لا أدرى إن كنت سأتمكن من اجتيازه.

قلت: لا بد أنه مرت عليك من قبل بعض الأوقات لم تكن تجد فيها ما تكتبه.
قال: أبدا منذ بدأت أكتب لم أتوقف أبدا عن الكتابة منذ أصدرت كتابى الأول (مائة عام من العزلة) كان لدى دائما ما أريد أن أقوله وما أن أنتهى من قوله حتى كان يجيئنى عمل آخر، وهكذا لكن هذا الشعور بالعقم الأدبى جديد تماما على.

وبدا لى الأديب الكبير وكأنه كاتب مبتدئ، ما أن صادفته فترة توقف حتى اعتراه القلق، وربما كان معه حق، ربما كان فريدا بين جميع الكتاب فى أنه لم يعرف مرحلة التوقف هذه ولا مرة خلال حياته الأدبية التى امتدت الآن لأكثر من أربعين عاما، والتي كنت واثقا أنه سيتخطاها، لكنى قرأت أخيرا فى عدة أحاديث له أنه مازال غير قادر على الكتابة وقد مضى على اعترافه لى لأول مرة، بهذه الحقيقة أكثر من سنة الآن فهل يعود ماركيز ثانية للكتابة، كما حدث مع نجيب محفوظ؟.



كينيث كاوندا: سأحرر زامبيا من جديد!

هناك من الزعماء الوطنيين من تصيح أسمائهم مرادفة لاسم بلادهم ذاته ومن بين هؤلاء الزعيم الإفريقي الكبير كينيث كاوندا الذى قاد كفاح زامبيا ضد الاحتلال وحقق لها الاستقلال عام ١٩٦٤م فكان أول رئيس لها حيث دامت رئاسته ٢٧ عاما لكنى حين قابلته فى ربيع عام ١٩٩٩م لم يكن رئيسا للجمهورية بل كان قد خرج لتوه من السجن وجرت عدة محاولات لاغتياله !

كانت تلك هى المرة الأولى التى يغادر فيها كينيث كاوندا زامبيا بعد خروجه من السجن كنا مشاركين فى مؤتمر أقيم فى سيول عاصمة كوريا الجنوبية ودعانى الزعيم الإفريقي إلى غرفته بالفندق الذى نزل فيه حيث بدأ حديثه معى عن جمال عبد الناصر فقال: إن أى زعيم وطنى عرفته إفريقيا فى عصر التحرر فى فترة الستينيات مدين لجمال عبد الناصر الذى كان هو القائد الملهم لنا جميعا والذى أنار لنا الطريق للتحرر الوطنى والاستقلال.

قلت: لقد تغيرت الأوضاع الآن كثيرا فصار هؤلاء الزعماء يتهمون بالخيانة العظمى فإذا كانوا قد رحلوا عن عالمنا فإنه يتم اغتيال ذكراهم وإذا كانوا على قيد الحياة فإنهم يودعون السجن مثلما حدث معك.

قال: إنى أحمد الله أن جمال عبد الناصر قد رحل قبل أن يرى ذلك وإلا لكان تألم كثيرا على ما آلت إليه الأحوال فى قارته الإفريقية. لقد قاد عبد الناصر جهودنا جميعا لرفع اسم إفريقيا عاليا لكن الأوضاع تغيرت كما قلت.

قلت: إنها لمسافة شاسعة بين مقعد الرئاسة والجلوس داخل زنزانة واحدة مع ١٩ معتقلا آخر فكيف قطعتها؟

قال ضاحكا: مشيا على الأقدام فالقصة تبدأ عام ١٩٩١م حين قررنا إنهاء نظام الحزب الواحد وغيرنا الدستور وأجرينا انتخابات جديدة قبل موعدها بستتين تركنا بعدها السلطة لمن فازوا فى تلك الانتخابات وعدنا للعمل السياسى خارج السلطة، وحين حل موعد

الانتخابات التالية عام ١٩٩٦م واتضح أن حزبنا سيحقق نجاحا كبيرا أصدر النظام الحاكم قانونا جديدا يمنعى من تولى الرئاسة فقاطعنا الانتخابات وعندئذ بدأت السلطات تتعقبنا فإذا كان لدينا مؤتمر سياسى قامت بهدم السرادقات التى سينعقد فيها وإطلاق القنابل المسيلة للدموع على الجماهير وفى إحدى هذه المرات أطلق علينا الرصاص وأصبت فى رأسى وأصيب أيضا بعض أعوانى.

قلت : لم تكن تلك هى المرة الأولى التى تعرضت فيها للاغتيال فقد تعرضت لأربع محاولات حتى الآن، كيف ذلك وأنت أبو الاستقلال فى زامبيا؟!
رفع الزعيم الإفريقى يديه إلى السماء وبأحداها المنديل الأبيض الذى اشتهر به وقال Poor Africa أى مسكينة يا إفريقيا! لقد سمعنا فى مخلوقات الله عن الأم التى تأكل أولادها لكننا لم نسمع أبدا عن أطفال يأكلون أباهم!
ولم أستطع أن أكبت سؤالا ألقى منذ بداية لقائنا فقلت: منذ متى وأنت تحمل هذا المنديل الأبيض؟

قال: منذ زمن بعيد فهو بالنسبة لى رمز للسلام وحين ألوح به للناس فكأنى أقول لهم (السلام عليكم) لكنه للأسف لم يعد أبيض كما كان لقد لطحته بقع الدم الذى نرخته البلاد فى السنوات الأخيرة.
قلت: لقد خرجت لتوك من سجن جديد وسمعنا أنك أضربت عن الطعام وكنت على شفا الموت.

قال: هذا صحيح لقد أضربت عن الطعام والشراب أيضا لأننى اعتقلت دون أن توجه إلى أية تهمة وقد طلبت معرفة تهمنى دون جدوى وقد حاولوا حقنى فى السجن بمادة قالوا إنها للتغذية لكنى رفضتها لأنها كانت هناك محاولة سابقة لاغتيالى كانت ستتم عن طريق حقنى بمادة خاصة تؤدى لإصابتى بسكتة قلبية خلال ستة أشهر فنقلونى من الزنزانة التى كان يشاركنى فيها ١٩ معتقلا آخر إلى زنزانة خاصة وسمحوا لزوجتى بزيارتى لأول مرة فتفهمت موقفى وأقرتنى على الإضراب عن الطعام لكنها طلبت منى فقط ألا أمتنع عن الشراب خوفا على حياتى ثم فوجئت بعد ثلاثة أيام بزيارة فى سجنى من صديقى العزيز الرئيس التنزانى جوليوس نيريرى الذى قال لى إن عددا كبيرا من الرؤساء الأفارقة أرسلوا احتجاجات شديدة اللهجة لحكومة زامبيا يطالبونها إما بتقديمى للمحاكمة وإما بالإفراج

عنى وأكد لى نيريرى أنه سيفرج عنى خلال أيام لكنه ظل يرجونى أن أنهى إضرابى عن الطعام خوفا على حياتى. وبعد مناقشة طويلة امتثلت لطلب رئيس تنزانيا فطلب لى على الفور البسكويت والجبن وجلس يأكل معى.

وسرعان ما خضعت الحكومة لطلبات الرؤساء الأفارقة وأفرجت عنى فعدت إلى بيتى لأجده قد تحول إلى سجن كبير حددت فيه إقامتى وبعد بضعة أيام وجهت إلى تهمة الخيانة العظمى ومحاولة قلب نظام الحكم وأنا لست فى حاجة للتأمر فإذا أردت أن أصل إلى الحكم فما على إلا أن أرشح نفسى والناس هى التى ستأتى بى للحكم.

كانت صورة كاوندا الشاب التى طالعتنا فى صورته فى فترة الخمسينيات والستينيات وهو يأتى لزيارة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قد ولت وصار صاحبها فى الـ ٧٥ من عمره كان ذلك فى عام ١٩٩٩م أى أنه الآن فى الـ ٨٢ من عمره وقد بدت على قسماط وجهه علامات الأسى وهو يقول: لقد خرجت من سجنى لأجد ابنى قد توفى بمرض (الإيدز) وأنا لم أخف ذلك بل بدأت حملة قومية لمكافحة هذا الوباء ولتوعية الناس بأخطاره وبطرق الوقاية منه وقد كان لإعلانى عن سبب وفاة ابنى أكبر الأثر فى مقاومة انتشار (الإيدز) فى زامبيا لكن إلى جانب أحرانى الشخصية هناك الحزن العام الذى يقض مضجعى فبلادى الآن فى أزمة والناس تموت جوعا وهو ما لم يكن متصورا فى زامبيا التى كانت تصدر منتجاتها الزراعية والتى أصبحت الآن تستورد الجزر والخس واللبن والبيض وتزايدت فيها معدلات البطالة. لذلك لم يكن من الممكن أن أقول لقد تركت الرئاسة وليحدث ما يحدث بل كان على أن أتحرك لتحرير البلاد من ذلك الفساد الذى استنزف مواردها فى السنوات الأخيرة. إن أولادى يقولون لى إنهم سيقتلونك لكنى أقول إن الإنسان لا يملك حياته ولا مmatesه لكنه يملك أن يعيش بكرامة عن طريق أداء واجبه تجاه وطنه ولن يستطيع أحد أن يوقفنى عن أداء واجبى ما دمت أنا على قيد الحياة، وواجبى الآن هو محاربة الفساد وإحلال الديمقراطية والدفاع عن حقوق الشعب التى اغتصبت بالسرقة والاحتتيال وذلك - على حد قول أحد أعوانى - هو التحرير الثانى لزامبيا ومثلا خضت معركة التحرير الأولى وانتصرت فيها للبلاد فسأنتصر لها أيضا فى المعركة الثانية.. ثم أضاف بالعربية: إن شاء الله!



بريجيت باردو: عليكم أن تحسنوا معاملة الحمير!

التقيت في عام ١٩٩٤م في فرنسا ببريجيت باردو، أشهر نجومات الإغراء في تاريخ السينما الفرنسية، وكنا في ذلك الوقت نستعد في (الأهرام) لإصدار جديد باللغة الفرنسية هو (الأهرام إبدو) ففكرت في دعوتها للقاهرة لتكون ضيفة شرف حفل الافتتاح الكبير الذى كنا على وشك إقامته بهذه المناسبة، لكنى لم أكن أعرف أن هناك مفاجأة فى انتظارى؛ ليس لرفضها القاطع الحضور إلى مصر، وإنما للسبب الذى ساقته لى لرفض الدعوة.



بريجيت باردو والرفق بالحيوان

قال لى صديقى الفرنسى الذى يعمل بوزارة الخارجية: إن الدعوة لزيارة مصر دعوة مغرية فى حد ذاتها ويصعب على أى فرنسى أن يرفضها! ثم عرفنا من زوج بريجيت باردو أنها لم تزر مصر قط، فشحجنى ذلك أن أدعوها باسم الأهرام لزيارة مصر وحضور حفل افتتاح (الأهرام إبدو) ولقد ضم صديقى الذى كان يعرف باردو معرفة شخصية، صوته إلى صوتى قائلا: إننا سعداء للغاية فى الخارجية الفرنسية أن تصدر عن (الأهرام) جريدة باللغة الفرنسية فهى ستخدم قاعدة عريضة من القراء فى الشرق الأوسط كله بالإضافة

للمهتمين بالشئون العربية فى فرنسا، لذلك فنحن مهتمون بتقديم كل ما نستطيعه من دعم لهذه الجريدة.

لكن بريجيت باردو تجاهلت الرجل ولم تعره أى اهتمام وكأن كلامه لا يهمها من قريب أو بعيد، ثم نظرت إلى وقالت: أشكركم أنكم فكرتم فى، أو أنكم لازلتم تذكروننى بعد كل هذه السنين، لكنى لن أزور مصر أبدا!

ونزل ردها على كالصاعقة، فهى لم تقل إن ظروفها لا تسمح، أو إنها ستفكر فى الأمر، وإنما كان ردها قاطعا وكأنها كانت قد اتخذت قرارا فى هذا الشأن ولم يكن هناك إمكانية لإعادة النظر فيه.

وقبل أن أسألها عن سبب هذا الرفض القاطع لزيارة مصر قالت بريجيت باردو: إن الطريقة التى تعاملون بها الحمير عندهم غير آدمية على الإطلاق! ثم سكتت وكأنها كانت تنتظر منى تعليقا، لكنى كنت قد أصابتنى صاعقة ثانية من السبب الذى ساقته فأحسست وكأن إنسانا قد تلقى صفة مفاجئة على خده الأيمن وقبل أن يدرك ما حدث تلقى صفة ثانية على خده الأيسر، فلم أتكلم.

فواصلت بريجيت باردو حديثها قائلة: إننى لا أفهم كيف يكون شعب صاحب حضارة عريقة كالحضارة المصرية ثم يعامل الحمير بهذه الطريقة الوحشية، إن درجة تحضر أى شعب من الشعوب تقاس فى رأى بطريقة معاملته للحيوانات، فالحيوانات مخلوقات حية، وهى لا تستطيع أن تشكو لأحد، والإنسان يستخدمها، بل يستغلها أسوأ استغلال!

وبدأت أفيق من الصدمة لأجد السيدة جادة تماما فيما تقول، وكانت تعبيرات وجهها وهى تتحدث إلى تؤكد أن تلك أهم قضية فى الوجود فوجدت من الذوق أن أوصل معها الحديث فى هذا الموضوع، فقلت: إن قسوة الإنسان على الحيوان على مدى التاريخ لا يمكن إنكارها، وإنه لنبل منك أن تولى اهتمامك لهذه القضية، لكن ما قولك فى الإنسان الذى يعامل أخيه الإنسان بأسوأ مما يعامل الحيوان؟

وبدا لى وكأنها هى التى دهشت هذه المرة من إثارتى لقضية لم تكن تتوقعها، فواصلت حديثى قائلا: إن هناك فى عالمنا هذا من يعاملون شعوبا وأجناسا بأكملها وكأنها أدنى من الحيوانات.

قالت: ماذا تقصد؟

قلت : الأمثلة كثيرة، فهناك مثلا ما تعرض له الإنسان الأسود فى جنوب أفريقيا من تفرقة عنصرية، أو فى الولايات المتحدة، حيث كان السود يقتلون وتنتهك آدميتهم دون محاكمة أو حساب، واليوم فإن ما يتعرض له الشعب الفلسطينى على يد قوات الاحتلال الإسرائيلية لا يمكن أن يقبله أى ضمير إنسانى.

قلت : إنكم تقاطعون إسرائيل لذلك، إذن فمن حقى أنا أيضا أن أقاطعكم.

قلت : إنك بذلك تساوين يا سيدتى بين معاملة الإنسان ومعاملة الحيوان وكأنه لا فرق لديك بين هذا وذاك.

قالت على الفور: هذا صحيح أنا لا أجد فرقا، فالمخلوقات كلها لها روح وتشعر بالألم، الفرق أن بعضها يستطيع أن يدافع عن نفسه والبعض الآخر لا يستطيع، والإنسان يستغل تلك المخلوقات التى لا تستطيع أن تدافع عن نفسها وهذه خسة غير مقبولة.

قلت : أتحدثين يا سيدتى عن الفلسطينيين؟

قالت : بل عن الحمير.

قلت : ولماذا لا تتحدثين عن الفلسطينيين أيضا؟

قالت : تلك قضية سياسية وأنا لا علاقة لى بالسياسة، إننى أتحدث فى قضية إنسانية بحتة.

وأردت أن أتحدث معها عن الجانب الإنسانى فى القضية الفلسطينية، لكنى تسائلت بينى وبين نفسى عن جدوى ذلك وفضلت أن أنهى المقابلة، لكنها لاحقتنى بموضوع آخر.

فقلت : قل لى، هل ما يحدث للخراف فى عيد الأضحى إنسانى؟ أنا لا أتحدث عن ذبحها، ولكن عن الطريقة الوحشية التى يتم بها الذبح. إن الأحياء الإسلامية عندنا فى فرنسا تتحول إلى مجازر فى العيد الأضحى، وتجرى الدماء فى الشوارع، فما هذا؟

قلت : أنا لا أعرف ما يحدث عندكم فى الأحياء الإسلامية لكن ما أعرفه أن فكرة الأضحية ليست خاصة بالدين الإسلامى وحده، كما أن ذبح الحيوانات للأكل يحدث فى جميع أنحاء العالم، ويعتقد أن أكبر نسبة من آكلى اللحوم فى أوروبا وأقل نسبة من النباتيين هى فى فرنسا، كما أعلم أن النبى محمد قد أوصى من سيقوم بذبح الشاة أن يكون رحيما وأن يحرص على ألا ترى الشاه السكين التى ستذبح بها.

فقلت بارودو: ليس هذا ما نراه عندنا على أى حال. والحقيقة أن نجمة الإغراء

الفرنسية قد مرت في السنوات الأخيرة بتحويلات كبيرة جعلتها أكبر المدافعين في فرنسا عن حقوق الحيوانات، وهي تعيش الآن في منزل ريفي خارج باريس محاطة بعدد كبير من الحيوانات التي تقول إنها خير رفيق لها في حياتها في الوقت الحالي.

ويقول بعض علماء النفس إن بريجيت باردو قد عانت كثيرا في شبابها من الاستغلال غير الإنساني الذي تعرضت له، حيث عوملت كرمز جنسى، فلم يكن هناك أى احترام لها كإنسان ولا اعتبار لعقلها وإنما كان اهتمام الناس ينصب على جسدها وحده وعلى استغلال هذا الجسد إلى أقصى درجة. وربما كان هذا هو ما جعلها تثور في شيخوختها على كل معاملة قاسية خاصة على الحيوان الأبيكم، كما كانت هي بكماء لا تملك أن تثور على المعاملة التي كانت تلقاها من المجتمع.

وقد أعطتني تلك النظرية بعض التفسير لمظهر بريجيت باردو الحالي، ولماذا لم تسع للاحتفاظ ببعض مظاهر الشباب التي ميزتها في السابق، فحين قابلتها لو لم أكن أعرف مسبقا أنني سأقابل بريجيت باردو لما تعرفت عليها بسهولة، فقد بدت عليها علامات الزمن واضحة مثل التجاعيد التي تملأ وجهها وتحيط بعينيها، ومن الواضح أنها لم تسع أبدا لعمل أى من عمليات فرد الوجه التي صارت الآن عملية روتينية تجريها الكثير من السيدات في الخارج بمجرد وصولهن إلى السن الذي تظهر فيه التجاعيد.

أما شعر فاتنة الإغراء السابقة، الفتاة الصغيرة التي كان يتهدل شعرها الأشقر على كتفيها في إهمال مقصود، فقد تركته بريجيت كما هو يتهدل فوق وجهها من الأمام لكنها رفعتة من فوق كتفيها إلى قمة رأسها، وقد تركت الشيب يزحف إليه دون أن تحاول حتى تلوينه كما يفعل الكثير من السيدات وكأنها بذلك تثور على مظهرها القديم الذي ارتبط بكونها رمزا جنسيا لا عقل له ولا روح.

شعرت في نهاية مقابلتنا أننا وصلنا إلى طريق مسدود وشعر صديقي ببعض الحرج وأثناء توديعها لي يبدو أن بريجيت باردو شعرت هي الأخرى بشيء من ذلك، حيث قالت: شكرا جزيلاً على دعوتك لكنني في الحقيقة لا أسافر أبدا خارج أوروبا الآن! وكأن هذا سبب عدم قبولها الدعوة.



شون كونرى: جيمس بوند هو نقمة حياتى!

ولد الممثل العالمى شون كونرى لأسرة أسكتلندية فقيرة وما أن وصل إلى سن الصبا حتى وضعت الحرب العالمية أوزارها فترك الفتى الصغير الدراسة وحاول أن يعمل كي يكسب قوت يومه ، واليوم صار شون كونرى أحد أكبر نجوم السينما العالمية بسبب قيامه بدور جيمس بوند الذى اشتهر به والذى تخلى عنه فجأة بمحض إرادته.

كنا نحضر أوبرا (عايدة) التى كانت وزارة الثقافة قد دأبت على إقامتها سنويا بهدف تحويلها إلى مناسبة ثابتة فى المفكرة السنوية لمحبي فن الأوبرا فى جميع أنحاء العالم. وجاءنى زميل شاب مازال فى مقتبل حياته الصحفية وقال لى : هل تعرف الممثل العالمى شون كونرى؟ قلت له : لا ، لا أعرفه ، قال الصحفى مندهشا : كيف لا تعرفه ، إنه ممثل أدوار جيمس بوند! قلت : نعم أعرف أنه ممثل أدوار جيمس بوند ، لكنى لم يسبق لى التعرف إليه ، قال : خسارة لقد تصورت أنك تعرفه ، فهو جالس هناك وأنا أريد التحدث إليه لكنى أحجل من التقدم إليه هكذا ، فوددت أن تقدمنى إليه لو كنت تعرفه ، قلت : تعال إذن لأقدمك إليه ، فالصحافة ليس فيها انتظار للتعارف ، إنك من حقلك كصحفى أن تتقدم لأية شخصية عامة وتوجه لها ما تراه من أسئلة ، طالما أنك لا تقتحم عليها خصوصيتها ونحن الآن فى مكان عام وشون كونرى شخصية عامة وأنت ممثل للرأى العام ، كل ما فى الأمر أن عليك أن تتحلى بالذوق وألا تفرض نفسك عليه ، فإذا لم يرغب فى الحديث يكون عليك أن تحترم رغبته.

وأخذت الزميل الشاب وذهبنا إلى حيث كان يجلس شون كونرى ، وفى الطريق شكرنى الشاب قائلا إنه لو لم يخرج من هذه المناسبة إلا بما قلته له لكفاه ذلك ، قلت : عليك الآن أن تطبق هذا عمليا فتخرج أيضا بحديث مع شون كونرى.

ومن حسن حظ الصحفى الشاب أن شون كونرى كان من أكثر الممثلين العالميين تواضعا ، فما أن توجهنا إليه بالحديث حتى قام من على مقعده وسلم علينا فى أدب ، وخشيت أن أقدم له الصحفى الشاب وأمضى فأبدو وكأننى لا أهتم فبدأت أولا بتوجيه بعض الأسئلة

عن رأيه في تقديم (عايدة) في هذا الموقع الخلاب أمام أهرامات الجيزة، ثم قلت له إنني لا أريد أن أستاثر بوقته كله واستأذنته في أن أترك الفرصة لزميل صحفي يريد أن يوجه له بعض الأسئلة هو الآخر قبل أن يبدأ العرض، ثم تركتهما وعدت إلى مكاني.

وفي الاستراحة تقابلنا ثانياً فعرفني كونرى بزوجته الفرنسية ميشلين وأمضينا بعض الوقت نتحدث عن مصر وعن اسكتلندا التي قلت له إنني زرتها أكثر من مرة، فقال لي شون كونرى: أما أنا فلا أجد الوقت الآن لزيارتها، وعلمت أن شون كونرى له شقة في نيويورك لكن إقامته الدائمة في بيت خاص به في جزر البهاما حيث الهدوء والبعد عن صخب المدينة، كما أنه منذ تزوج ميشلين في بداية السبعينيات وقد اشترى بيتاً ريفياً في جنوب فرنسا.

وسألتنى زوجته ميشلين أين تستطيع أن تقتني بعض التحف المصرية القديمة؟ وقالت إنها تهوى هي وزوجها جمع المقتنيات القديمة، وقال شون كونرى إن لديهما في منزل البهاما لوحة قديمة مطرزة بآيات قرآنية غاية في الجمال أهداها لهما أحد أصدقاء شون كونرى خلال زيارة قاما بها للمغرب.

وشون كونرى قد دأبنا في مصر على تسميته خطأ بشين كونرى، لكن النطق الصحيح لاسمه هو شون وهو الاسم المرادف في اللغة الاسكتلندية لـ (جون) في اللغة الإنجليزية، وكان كونرى هو أول من جسد أدوار جيمس بوند في الأفلام الأمريكية والتي ذاع سيطها في العالم أجمع، وقد سألت شون كونرى عن دور جيمس بوند الذي جعل منه نجماً عالمياً تعرفه الجماهير في جميع دول العالم، فقال لي إن هذا الدور هو نقمة حياته، وقال إنه كان يستمتع بالقيام به في البداية لكنه حين تكرر التصق به الدور ولم يعد يستطيع الفكك منه، وقد سبب له ذلك أزمة في حياته لأنه كأي ممثل كان يشعر بأن لديه إمكانات تمثيلية تطوق للقيام بأدوار متنوعة، وأن أكبر لعنة يمكن أن تصيب ممثلاً هي أن يحكم عليه بأن يظل يمثل دوراً واحداً طوال حياته.

قلت له: لكنك لم تعد تمثل أدوار جيمس بوند الآن.

قال: كان هذا قراراً جريئاً من جانبي، فقد استجمعت شجاعتي وقررت ألا أقوم بهذا الدور ثانية، وأعتقد أن الشهرة التي حققتها أعطتني القوة لأن أفعل ذلك فأعطي الفرصة للممثل آخر أن يقدم جديداً في هذا الدور وأن أعطي نفسي الفرصة للتحرر من أسر جيمس

بوند والقيام بأدوار أخرى أكثر تنوعا.

قلت: لقد سمعت أنك رفضت أخيرا دورا فى فيلم كان أجرك فيه سيصل إلى ١٨ مليون دولار، فهل هذا صحيح؟

قال: نعم، فالدور لم يعجبني رغم أنه لم يكن يمثل شخصية جيمس بوند، لقد وصلت الآن إلى مرحلة أريد فيها أن أستمتع بالأدوار التى أقوم بها فإن لدى من المال ما يسمح لى بأن انتقى أدوارى بشكل أفضل.

وتحدث شون كونرى عن طفولته فى العاصمة الاسكتلندية أدنبرا وكيف بدأت الحرب العالمية الثانية وهو مازال صبيا فى التاسعة وكيف ترك المدرسة واضطر للعمل ولم يعد للتعليم بعد ذلك، ثم قال: لذلك فمن حقى الآن أن استمتع بحياتى وأن أستمتع أيضا بعملى.

وسألت ميشلين زوجته الفرنسية التى قابلها لأول مرة فى مراكش قبل ٣٠ عاما: ما هى فى رأيك أجمل صفات شون كونرى؟

قالت: براءته وصدقه وشهامته وتواضعه الجم رغم الشهرة العالمية التى حظى بها والتى كثيرا ما تجعل من بعض النجوم قمة فى العجرفة.

فقال شون كونرى: لقد كان من حسن حظى أن قابلت روبرت ميتشوم فى بداية حياتى حين بدأ نجمى يبرز فى سماء السينما العالمية، فقد قال لى شيئا لم أنسه أبدا، فقد همس فى أذنى: (لا تأخذ مسألة النجومية هذه مأخذ الجد؛ فكل ذلك البريق ما هو إلا فقاقيع هواء يمكن أن تزول فى أى وقت!) ثم يقول شون كونرى: لقد كان ميتشوم على حق، فما يبقى للإنسان فى النهاية هو حياته الفعلية وعلاقاته الإنسانية، بأقربائه. ثم يضيف: إننى أرغب حين أنظر ورائى أن أجد ما يمكن أن أفخر بأننى حققته.

قلت: وماذا تجد حين تنظر الآن ورائك؟

قال: أجد جائزة الأوسكار التى فزت بها عن دورى فى فيلم (المحرمون).

وجائزة (الدب الذهبى) من مهرجان برلين، كما أجد أيضا تكريم ملكة بريطانيا لى بمنحى لقب (سير).

وحين قابلت الزميل الشاب بعد الحفل سألته إن كان راضيا عن حديثه مع شون كونرى

فقال لى: إن إنجليزته صعبة جدا لذلك لم أفهم شيئا مما قال!!



تونى بلير:

أجمل ما فى منصب رئيس الوزراء.. مقره الريفى!

سألت تونى بلير رئيس وزراء بريطانيا عن هواياته فقال إنها كثيرة من بينها الرياضة ولعب آلة (الجيتار)، ثم ضحك. وقال: لقد كان أصدقاى من العازفين يسألوننى دائما: ماذا ستفعل للموسيقى حين تصبح رئيسا للوزراء؟ فكنت أقول: أعدكم بأننى سأتوقف عن لعب الجيتار، لكنى حتى الآن لم أسد للموسيقى هذه الخدمة التى وعدت بها! إلا أن ذلك لم يكن الوعد الوحيد الذى قطعه بلير على نفسه ولم ينفذه.

حين أتت انتخابات عام ١٩٩٧م فى بريطانيا بتونى بلير إلى رئاسة الوزراء كان فى الـ ٤٥ من عمره وكان بذلك هو أصغر رئيس وزراء لبريطانيا منذ القرن الـ ١٨، كانت الحياة السياسية فى حزبه باعتباره يمثل جيلا جديدا من رجال السياسة الذين لا بد ستختلف سياساتهم عن سياسة حزب المحافظين القدامى.

وحين التقيت بتونى بلير لم تكن أزمة الحرب العراقية قد ظهرت فى الأفق بعد. وكان بلير مازال يمثل المستقبل المشرق للسياسة البريطانية، بعد أن نفضت عن نفسها غبار ثمانية عشر عاما من حكم المحافظين وأتت بجيل جديد من العمال الذين استطاع بلير أن يقودهم إلى مقر رئاسة الوزراء الشهير فى ١٠ - شارع داوتنيخ، وقد غير بلير بذلك الصورة التقليدية لرئيس الوزارة البريطانى العجوز، كما غير الكثير من اللوائح والقوانين البالية وانعكس هذا التغيير على المجال الخارجى أيضا فتم لأول مرة توقيع اتفاق سلام مع أيرلندا كما تأكد الانتماء القارى لبريطانيا داخل الاتحاد الأوروبى.

وقد أخبرتنى آنجى هانتر مساعدة رئيس الوزراء أن تونى بلير يختلف عن رؤساء الوزراء السابقين فى كل شىء حتى فى طريقة عمله، فهو يعمل دائما من على الأريكة From the Sofa على حد قولها، أى إنه يفضل أن يجلس على الأريكة وليس على المكتب ويفرد على المنضدة الموضوعة أمامه أوراق الموضوع الذى يبحثه بينما يجلس مساعدوه على المقاعد التى حوله، وتقول آنجى (أنا لم أره أبدا طوال العام الماضى جالسا على مكتب رئيس الوزراء إلا فى بعض المقابلات أو ربما للتحدث فى التليفون

وفى أيام الصيف حين تكون الشمس مشرقة كثيرا ما يأخذ أوراقه إلى الشرفة فيعمل من هناك).

ولقد سألت تونى بلير عن سر طريقة عمله هذه فقال: لقد تعودت المذاكرة فى أيام الدراسة على مائدة السفارة وليس على المكتب، وإنى أجد أننى أنجز أكثر بهذه الطريقة لأننى لا أشعر وأنا بعيد عن المكتب أننى أعمل.

وإلى جانب مقر رئاسة الوزراء الذى يحمل رقم ١٠ بشارع داوننج فإن لرئيس الوزراء البريطانى أيضا مقرا ريفيا فى مقاطعة باكنجها مشير، وهو مبنى يعود تاريخه إلى القرن الـ١٦ وقد أخبرنى بلير أن هذا القصر القديم هو أجمل شىء فى منصب رئيس الوزراء، وأنه من الأشياء القليلة التى تعيد إليه راحة البال بعد شهور العمل الطويلة فى شتاء لندن البارد.

ويحكى بعض معاونى بلير أنهم كانوا فى اجتماع برئيس الوزراء بالمقر الريفى وفى تمام الساعة ٤ بعد الظهر أنهى بلير الاجتماع وقال لهم: والآن من منكم يريد أن يلعب مباراة كرة القدم فى الحديقة؟ وبعد قليل كان بلير مع ولديه إيوان ونيكى ومن انضموا إليهم من معاونين يلعبون الكرة على حشائش الحديقة الخضراء.

أما بلير نفسه فقد روى لى أن الأميرة الراحلة ديانا قد دعيت لقضاء يوم الأحد بقصر باكنجها مشير مع ولديها الأميرين وليام وهارى وذلك قبل رحيلها بشهرين فقط، ثم يضيف:

لكن ولدى لم يقوموا بأدب الضيافة كما يجب فقد هزما الأميرين فى الكرة هزيمة نكراء. كان لقاى هذا بتونى بلير فى أوائل عام ١٩٩٨م حين قام بزيارته الأولى لمصر بمجرد أن أكمل سنة فى الوزارة، وقلت له ونحن جلوس على مائدة الإفطار إن الآمال مازالت معقودة عليه فى العالم العربى لتحرير السياسة البريطانية فى الشرق الأوسط من أسر سياسة الولايات المتحدة وإتباع سياسة تنبع من مصالحكم الخاصة لكونكم دولة كبرى لا تقل عن فرنسا أو روسيا أو الصين.

فابتسم بلير ابتسامته الشهيرة التى ميزت صورته طوال فترة الانتخابات وكان لها تأثير كبير فى نجاحه ثم قال: إن عاما واحدا هو فترة قصيرة فى رئاسة الوزراء ولا نستطيع خلاله أن نحقق كل ما نتطلع إليه.

قلت: وهل تتطلعون بالفعل إلى سياسة مستقلة عن السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط؟

وهنا اختفت الابتسامة فى هدوء لتفسح المجال للتعبير الجاد الذى كسا وجه رئيس الوزراء وهو يقول: إن الدور الأمريكى فى الشرق الأوسط دور حيوى لا يمكن استبعاده، لذلك فالسياسة الحكيمة هى التى لا تسعى للصدام مع الموقف الأمريكى وإنما لتنشيطه وحثه على المضى قدما فى طريق إحلال التسوية العادلة لجميع شعوب المنطقة. ثم قال: إن لدينا تصورا متكاملا عن سياستنا فى الشرق الأوسط وهى ليست بالضرورة متطابقة مع السياسة الأمريكية، ومع الوقت ستعبر هذه السياسة عن نفسها وفق كل مناسبة.

قلت: أستطيع أن أؤكد لك أن العالم العربى بأسره سيكون فى الانتظار.

ولقد كنت فى زيارة لإدنبرة عاصمة اسكتلندا فى العام الذى فاز فيه بلير فى الانتخابات وهناك قابلت رجلا عجوزا خفيف الظل يدعى إريك أندرسون كان فى السابق يعمل مدرسا بمدرسة (فيتس كوليديج) التى درس بها الصبى تونى بلير، وقد روى لى مستر أندرسون أن تونى الصغير كان دائم المجادلة وكثيرا ما كان يذهب إليه مبديا اعتراضه على أحد قوانين المدرسة وطالبا تغييرها، وقال أندرسون إن نقطة الخلاف كانت دائما طول شعر تونى والذى لم تكن تسمح به لوائح المدرسة فكان دائما يطلب إليه قصه.

أما على المستوى الدراسى فقد قال لى أندرسون إن تونى كان متقدما فى دراسته إلى حد كبير، لكن مشكلته أنه حين كان يطلب منه مستر أندرسون وضع كلمة فى جملة مفيدة كانت جملة تونى تأتى دائما خالية من الفعل.

ومنذ التقيت بتونى بلير وحتى الآن وقعت أحداث كثيرة كان أهمها حرب العراق التى تسببت فى إيجاد تطابق أكبر فى السياسة الخارجية البريطانية مع الولايات المتحدة، وما أوماً إلى به بلير قائلًا إنه سيفعله فى المستقبل باعتبار أن سنة واحدة فى الوزارة ليست كافية لتغيير كل السياسات، لم يحدث، ولو علم إريك أندرسون بذلك لقال لى: ألم أحدثك عن غياب الفعل عند تونى بلير؟!

